الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٦٢ الخميس ٩ المحرم ١٣٨٤ هـ - ٢١ مايو ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

أى أيامك أروع يا جمال

بقلم : أحمد حسن الزيات

ايوم نفخت في الصور فبعثت شعبنا من رمسه !

ام يوم قذفت بفاروق في البحر فطهرت ارضنا من رجسه ؟

ام يوم صرعت الاقطاع فانقذت قومنا من بؤسه ؟

ام يوم أعلنت الجمهورية فاستخلصت عرشنا من غاصبيه ؟

ام يوم حققت الجلاء فاسترجعت استقلالنا من سالبيه ؟

ام يوم أممت القناة فاستردت مالنا من ناهبيه ؟

ام يوم دحرت الاستعمار في بورسعيد وقد زحف اليك من قبرص يتنمر بالحقد ويتسعر بالعداء ومن ورائه الاساطيل تحمل الدمار ، ومن أمامه اسرائيل تشعل النار ، فضربته الضربة القاضية التى قذفت بعضه في الهواء وبعضه في الماء ، فذهب مجللا بالعار ليجد منزلته في الحضيض ، وعدت مكللا بالغار لتجد مكانك في الذروة ؟ ولم تغب شمس ذلك اليوم المشهود حتى امنت القنال وثبت الاستقلال وطهرت سيناء من انجاس صهيون ؟

ام يوم جمعت بين مصر وسورية في نظام شامل من الوحدة ، فوصلت بين اخوة فصل بينهم الغريب حينا من الدهر حتى كادت الوجوه تتناكر والقلوب

تتنافر والوشائج تنقطع . وهيهات ان تنقطع مائة امر الله بها ان توصل ، أو تهن عقدة اراد لها الشعب ان تحكم !

ام يوم وضعت القوانين الاشتراكية فكرمت بها الانسان بالمساواة ، واقمت عليها الموازين بالقسط، فجعلت لكل مواطن حقه الطبيعي في خير وطنه وحكم بلده ، وضمنت له بالتعليم والعلاج شفاء نفسه وجسده ؟

ام يوم احكمت الميثاق القومي فرفعت عليه قواعد السياسة العليا للدولة ، ورسمت فيه مقاصد الخطط المثلى للأمة . فعلم كل عامل كيف يسير ، وكل سائر كيف يتجه ، وكل متجه أين يقصد ؟

ام يوم فرغت من المرحلة الاولى من بناء السد ، وقهرت جبروت (حابي) فنزل على حكمك ، وجرى بامرك فاجريته على هواك للرى والانتاج ، بعد ان كان يجرى على هواه للغرق والشرق . وازلت جبلا ازليا ارسته الطبيعة من حجر الصوان ، وارسيت مكانه جبلا ابديا من قوة الانسان . فبدات باقامة هذا السد المعجز عهدا للزراعة بتوفير الماء ، وعهدا للصناعة بتوليد الكهرباء ، وهما عهدان لم يشهد مثلهما المصرى في تاريخه كله .

كل يوم من هذه الأيام الأحد عشر ملحمة فريدة ، فصولها آيات بطولة ، وتاريخ حافل ، صفحاته سجلات مجد ، ومعركة فصلة لتنتهي بعهد وتبتدىء بعهد ! وان أيامك يا جمال من أيام الله . وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون .

على أن اروع ايامك يا جمال - فيما يرى العالم ويروى التاريخ ويشهد الواقع - هو يوم السد العالى . فان في تفجيرك نواة الذرة في طاقة الشعب المصرى فيصنع المعجزة واجاز المستحيل وخلق من الجدب خصبا ومن العدم حياة ، وان في تحويلك مجرى النيل الذى جرى الفلك من فوقه ٢٢الفا مؤلفة من القرون الى مجرى نقبته في قلب الجبل الصلد ليدخل في الانفاق الستة الهائلة التي تنظمها الآلات وتحكمها الموازين . . . ، وان في تسخيرك عبقريات العلم الروسى والمصرى بقدرتك وحكمتك لتجعل من اولئك كله هذا العمل الفريد في تاريخ الانسان - لآيات على قدرة الله الذى يضع بعض سره في بعض خلقه ، ليظهر على يديه نعمة المكنونة واسبابه المجهولة ، ليتقدم من تاخر ويرتفع من انخفض ويعتدل ما مال ويستقر ما اضطرب .

لم تبق يا جمال لواقعى ما يفكر فيه ، ولا لخيالى ما يحلم به ، ولا لمعقب ما يعقب عليه .

جلست على شاطىء النيل بالمنصورة يوما من ايام اغسطس الاخيرة من عام ١٩٤٠ اقلب عينى بين ضفتيه وقد شرقتا من فيضه بدم الحياة او بذوب النضار والزوارق البيض التى كانت تجر بالامس على رمال القاع تنساب بينهما على صفحته الذهبية المتموجة كانها الحمائم الطوائر على حقول القمح اذا استحصدت ، أو الفراش المبثوث على رياض الشقائق اذا توردت ، فوجدتنى على الرغم منى عانى الوجه له مستغرق الفكر فيه ، يتردد في خاطرى ما يردده الحيوان والنبات من تقديسه وتمجيده . وفى هذه الجلوة اتجه فكرى الى ثرانا المكروب واكبادنا الحرى فى صحارينا الشرقية والغربية ، فقلت لنفسى وانا اردد الطرف الساهم فى تيار النهر الجارف ودارانه المدومة ولججه الفائرة كيف خف على ضمائر ذوى العلم والراى فى وزارة الاشغال ان يدعوا هذا الفيض الحيوى العظيم يتدفق اربعة اشهر فى لهوات البحر الابيض دون ان يحبسوه بحيلة من حيل الفن الهندسى ليحيوا به موات الناس والارض . . . ؟ فما هو الا ان وضع الله امرنا فى يديك حتى رايتك تحبس النيل العاتى وراء السد العالى فى بحيرة صناعية طولها خمسمائة الف متر وعرضها عشرة آلاف متر وعمقها سبعة وتسعون مترا لترسله بقدر معلوم الى كل ثرى محروم !

وتمنيت ان يعود مجدنا الذاهب وتراثنا المفقود ليكون لنا بين الامم راس مرفوع وصوت مسموع ، فاذا بى اليوم كلما سمعتك تخطب فى أيامك الغر فتلقى فى سمع الزمان اقوالك الساطعة بالحق ، الناطقة بالعزم ، القوية بالايمان ، اى اقطاب العالم كله سكوتا حول الراديو ، يستمعون لما تقول، ويهتمون بما تقرر، ويتخوفون مما ترمى، ويتشاورون فيما تريد . اذكر رجلين كنت اسمعهما وانا فى عهد الشباب يتكلمان فينصت الدهر وتميد الارض وتخشع الدول وتهتز اسلاك البرق وتفيض انهار الصحف ، احدهما السير ادوارد جراى فى لندن ، والآخر الامبراطور غليوم فى برلين . وربما كان

البيان الذى أعلنه هذا . أو الخطاب الذى ألقاه ذاك . عبثا من العبث أو سخفا من السخف ، ولكن قوة الكلام من قوة المتكلم . فالاول كان وراءه أقوى اسطول فى البحر ، والآخر كان وراءه اقوى جيش فى البر .

وأراك يا جمال بلغت اليوم ما بلغ ذانك الرجلان من غير اسطول كان من بعض قواده نلسون ، ولا جيش كان من اقل جنوده هتلر !

فبأى شىء بلغت هذا المبلغ فى اثنى عشر عاما ، وقوى الشر كلها فى الداخل والخارج كانت حربا عليك ؟

قل بفضل الله الذى اصطنعك واصطفاك ، أو بفضل الله الذى كفاك من السوء ماكفاك ، وبفضل الله الذى أرشدك ورعاك !

احمد حسن الزيات

الوان

بامر الثورة وحكم الدستور اصبحنا جميعا سادة . فلا عبودية لصاحب الحكم ، ولا تبعية لمالك الارض ، ولا طاعة لغير القانون . واقتضت المساواة فى السيادة أن تلغى الرتب والالقاب فتحقق بذلك المثل القائل : كل انسان فى نفسه سلطان . ولكنك لا تستطيع بالامر ان تمنع الكلب ان يبصبص لك بذنبه ، ولا القط أن يتمسح فيك بجنبه . وسر الوراثة الذى يعلم الفرخ الخارج من البيضة كيف يلقط الحب وينشر الجناح هو الذى يفرض على سلائل المستعبدين أن يحنوا الراس ويدهنوا اللسان !

لقد ألغيت الرتب والالقاب من سجلات الحكومة وقوانين الدولة، ولكن لفظى الباشا والبك وتوابعهما من صاحب المعالى والسعادة والعزة لا تزال لاصقة بالافواه لصوق الريق ، تتردد فى الخطاب ، وتتدخل فى الحديث ، وتنتشر بين قوسين فى الصحف ، وليس لذلك موجب الا هوان النفس على النفس ، واعتياد الذليل للذل !

ان الفقير او الضعيف لا يزال ينظر الى الغنى أو القوى من خلال الهالة التى ضربها هو من حوله بفقره أو بضعفه . فهو بحكم العادة يخاطبه خطاب الأدنى للأعلى ، ويرى من الصعب على نفسه بعد الاشتراكية ان يسمى من كان صاحب الطين والعقار، ورب الدائرة والدوار ، ومالك الحياة والموت عليه بالاجرة او الايجار : (على حمدى) بعد أن ظل اكثر عمره يسميه (على باشا حمدى) !

وابن آدم كما يشهد تاريخه الطويل وضيع بطبعه ، يصنع لنفسه من الحجر او الشجر صنما يعبده ، اذا لم يجد فى جنسه من الملوك والطغاة من يستعبده ! وهو يرضى هذه الضعة فيه بلذة الخضوع لذوى المال أو الجاه وان لم يأته من ناحيتهم نفع. قال شاعرنا المتنبى : وقفت يوما على فاكهانى ببغداد اشترى منه بطيخا ، فساومته عليه بكذا درهما فأبى ان يبيعنى اياه الا بضعف ما فصلت. ومر عليه وانا واقف رجل من ذوى الهيئات فاعطاه فى البطيخ نفسه اقل مما قدمت فقبل ، وامره ان يحمله الى داره فاطاع .

فلما رجع قلت له : رفضت أن تبيعنى البطيخ بالثمن الاكثر ، وقبلت أن تبيعه ذلك الرجل بالثمن الاقل ، وحملته الى داره بنفسك ، وكنت اذا اشتريته أنا لا أكلفك هذا الحمل ، فما معنى هذا ؟

فقال لى الفاكهانى : أتدرى من هذا ؟ قلت : لا. قال : هذا فلان صاحب الضياع التى لا تحد ، ومالك الاموال التى لا تعد ! فسلمت لمنطق الطبع وطلبت المال منذ ذلك اليوم .

ابن عبد الملك

كاتب وكتاب

للدكتور محمد أحمد خلف الله

مرة ثانية أعود الى كتاب « الحكم المحلي وتنمية المجتمع في الدول النامية » . للكاتب السوداني المعروف **الدكتور محي الدين صابر** .

مرة ثانية أعود اليه وفي يقيني أنه من خير الكتب التي أخرجت للناس في موضوعات الساعة ، وفي ايضاح وبيان الفلسفة الاجتماعية للدول النامية .

وعودتي الى هذا الكتاب لن تكون لحساب المؤلف أو الكتاب ، ولن تكون على حساب القارىء . انها حتما لحساب الصالح العام .

ان بالكتاب مجموعة من القيم الثقافية التي نحتاج اليها لنقيم سياستنا في التنمية على أساس من تجربة الغير ، وبأسلوب يعتمد كل الاعتماد على وسائل الحضارة العلمية المعاصرة .

والقيم الثقافية التي اشير اليها في هذا الموطن هي التي تدور حول أنماط التنمية التي أشار اليها المؤلف وخاصة الاخيرة منها .

يشير المؤلف الى نمط من التنمية يسميه : **بالنمط الطليق أو التنمية الحرة** . ويضرب المثل لذلك بالتنمية التي حدثت في اليابان وكيف أتت ثمارها في وقت قصير على الرغم من اعتمادها على سياسة السوق الحرة . وأساليب النظام الرأسمالي .

ويشير المؤلف الى نمط آخر يسميه : **نمط التنمية الموجهة توجيها كاملا** . ويضرب المثل لذلك بالتنمية التي حدثت في الاتحاد السوفييتي ، والتي حدثت في المجتمعات الاشتراكية الشرقية . وهو نمط يعتمد على التخطيط المركزي ، وعلى ملكية الدولة لوسائل الانتاج .

ويرى المؤلف أن هذا النمط من التنمية قد قفز بالاتحاد السوفييتي من دولة متخلفة الى احدى دولتين تتنازعان سيادة العالم اقتصاديا ، وتكنولوجيا ، وسياسيا .

ويشير المؤلف الى نمط ثالث هو الذي يسميه : **نمط التنمية في المجتمعات النامية** . وهو نمط يتوسط النمطين السابقين ، ويأخذ من كل منهما مايلائم واقع الأمة وظروفها ، **من حيث ان أنماط التنمية تتأثر الى حد كبير في أهدافها ووسائلها بفلسفة الحياة التي يعتنقها مجتمع ما ، ويعيشها فعلا .**

ان الواقع التاريخي للمجتمعات المختلفة يدخل كعامل هام في تشكيل انماط التنمية لهذه المجتمعات . ومن هنا تحتم على المشتغلين بأمور التنمية أن يهتدوا في كل موقف بالظروف السياسية، والاقتصادية والفكرية .

ان كل نمط من انماط التنمية ليس الا صورة فلسفة فكريه للمجتمع ، وصورة موقف المجتمع من الحياه ، وفي الحياه .

والتنميه في المجتمعات الناميه تهدف الى اكثر مما كانت تهدف اليه التنمية في المجتمعات المتقدمه . انها تهدف هنا الى تحقيق العداله الاجتماعيه ، والى مزيد من الخدمات والضمانات للطبقات المنتجه — مع الابقاء على القطاع الخاص والملكية الفردية .

والتشريعات هي التي تحدد وظيفة القطاع الخاص والملكية الفردية في التطور الاجتماعي والاقتصادي ، فلا يصبحان وسيلة من وسائل الطغيان السياسي والتسلط على الحكم ، ولا يتجهان الى خلق طبقات متبطله تعيش على عرق الآخرين ، وتكون سببا من أسباب التوتر الاجتماعي ، والفساد الاقتصادي والسياسي .

وتحقيق هذه الأهداف يدفع الغالبيه من الدول النامية الى **انتهاج سياسة تدخلية** . فالدولة هي التي تشرف على النشاط الاقتصادي وتنظيمه ، وتسهم في عمليات الانتاج مع الهيئات الأخرى — وقد تقوم بها منفرده . **ثم هي التي تاخذ نفسها بالتخطيط المركزي لتوجيه الاقتصاد القومي ملاحظة في ذلك ترتيب الاولويات في التنمية على ضوء السياسة المرسومه .**

والتنمية في المجتمعات النامية تختلف كثيرا عن

التنمية فى المجتمعات المتقدمه من حيث **ظروفها الاجتماعية والاقتصادية**، ومن حيث **واقعها التاريخى**.

(أ) : فهذه الدول حريصة على سيادتها القومية ـ بعد أن استخلصت حرياتها بتضحيات جسام . وهى لذلك تحاول أن ينجو بتلك الحريات فلا تعرضها من قريب أو بعيد للنفوذالأجنبى، أو لحرب الايديولوجيات السياسية بين المعسكرين الغربى والشرقى . **انها تتعامل معهما فى حدود المعاملات الدولية السليمة** .

(ب)وهذه الدول قامت فى عصر أصبحت الدولة الحديثة فيه مسئولة عن الخدمات الاجتماعية على أوسع نطاق ـ الى جانب الاسهام فى عملية الانتاج .

لقد وجدت هذه الدول أمامها عبئا مزدوجا لابد من النهوض به . وذانك هما عبء الخدمات، وعبء الانتاج . ولقد كان أثر عبء الخدمات على عبء الانتاج قويا عنيفا . انه جعل الأموال المطلوبة للانتاج غير قادرة على تحقيق الهدف تحقيقا كاملا . **ان الخدمات تمتص الكثير من الأموال التى قد تكون لازمة للانتاج** .

هذا الى جانب النقص فى الخبرات الصناعية .

(جـ) : وهذا ليس بشىء الى جانب ماورثته النظم الاستعمارية لهذه الدول من مشكلات .

واهم مشكلة فى نظرنا هى مشكلة التكوين القومى ـ ذلك الذى يتمثل فى اقامة مجتمعات سياسية متفاوته حضاريا فى نطاق الدولة السياسية . كالتنظيمات القبلية التى كانت الادارات الاستعمارية تشجعها وتقويها حرصا على مصالحها، واستبطاء للوعى القومى فيها، وجمعا للمتناقضات ـ حتى يسهل عليها حكمها جميعا .

وكانت تلك الادارات الاستعمارية تعمل على **تمزيق الوحدات السياسية والحضارية الطبيعية، فى وحدات مصطنعة مستقلة** .

ان العمل على حل هذه المشكلة لا يتم الا باعادة **صياغة المجتمع القومى من جديد** ـ وتلك من أشق العمليات لأنها تتطلب كثيرا من الخدمات فى مستويات مختلفة . لا سيما ونحن نعلم ان معظم المجتمعات النامية من المجتمعات الريفية ـ زراعية أو نصف زراعية أو رعوية باديه ـ التى تحتاج فى التنمية الى عمليات شاقه، ومجهودات مضاعفة .

ان العمل على رفع مستوى الحياة، وتوفير الخدمات، وتحقيق الرخاء والرفاهية، هو الذى يساعد على حل تلك المشكلة . من حيث انه يدفع الى تقوية العلاقات والروابط الاجتماعية بين الطوائف ـ وتلك من أسباب تماسك بنيان المجتمع . ومن حيث أنه يؤدى الى استئصال أسباب التوتر الاجتماعى، وروح التذمر والسخط، ويشيع الأمن والطمأنينة فى الأنفس . ومن حيث انه يولد لدى الأفراد **شعور الولاء للمجتمع وللجماعة القوميةالتى ترتبط مصالحها بتلك الخدمات ارتباطا عادلا** .

وتنمية المجتمعات النامية انما تعنى فى الحقيقة **تحويل تلك المجتمعات من مجتمعات ساكنه الى مجتمعات متحركة** . كما تعنى تغيير وسائل الانتاج ونظام **الاستهلاك** .

او بعبارة اخرى تعنى تغيير فلسفة حياتها بما فى ذلك كثير من القيم والتقاليد التى توارثتها عن السلف .

ان التنمية ليست الا تغيير حضارة تقليدية بحضارة جديدة ـ تكنولوجية وصناعية .

وليس يخفى أن أى تغيير فى البناء الاقتصادى والاجتماعى والسياسى لا يقع كاملا **الا اذا سبقه او صاحبه تغيير فى البناء الفكرى** ـ أى فى الآراء والمعتقدات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت قائمة من قبل .

ولقد ثبت من الدراسات الاجتماعية أن الهجوم المباغت على البناء الفكرى، **وهدم قيمه التقليدية، يؤدى الى خلخلة فى كيان المجتمع، ويورث عللا اجتماعية، ويعقب من الانحرافات ما يفوق أحيانا المكاسب التى يتوخاها المسئولون عن التنمية ـ ولكن بعض المجتمعات تسلك هذا الاسلوب المفاجىء تعويضا للماضى، وكسبا للوقت** .

ان فى هذا مغامرة من ناحيتين .

الأولى ـ أن القيم القديمة والعلاقات التقليدية التى كانت تقوم فى المجتمع التقليدى لا بد وأن

تقوم مقامها قيم أخرى وعلاقات جديدة ـ والا وقع المجتمع فى **فوضى** ٠

والقيم والعلاقات الجديدة لا تنشئها القوانين وحدها ، فانما يجب ان يتفهمها الناس ، ويقتنعون بها ، ويتقبلونها ـ وتلك تحتاج الى عمليات تثقيف جبارة ٠ تحتاج الى مجهودات عظيمة ٠

وليس يخفى أن عمليات التثقيف تحتاج الى وقت ، والى صبر ، والى بصيرة قوية نافذة ٠
ان التغيير الشكلى قد يتم عن طريق التشريع ٠ ولكن سلوك الناس حيال هذا التغيير يظل غير متفق مع متطلبات التغيير ٠

هناك مثلا مفهوم الزمن الذى يرتبط بنظام الانتاج الحديث ٠ وهناك مفهوم العمل نفسه ، ومفهوم الثروه والادخار ، ومفهوم الأسرة ٠٠٠٠ الخ ٠

هناك مفاهيم ان لم يدركها الناس عن الواقع الجديد ـ ظل سلوكهم الفعلى متأثرا بالقيم القديمة وفى ذلك من الأضرار الكبيرة على نمط التنمية ما فيه

ان هذا الوضع الأخير هو الذى يسمى عند علماء الاجتماع **بالتخلف الحضارى** ٠

وعلى الرغم من هذه العقبات ذات الطبائع المختلفة فان الدول النامية ـ وقد استوت ناهضة على قدم المساواة فى المجال السياسى مع الدول المتقدمة كأعضاء فى منظمة الأمم المتحدة ـ **تستشعر ضرورة تلك المساواه فى المجالات الاقتصادية ، والتكنولوجية، والعلمية ، والاجتماعية ٠**

انها تستشعر ذلك كله قياما بواجبها نحو مواطنيها من ناحية ، واستكمالا لأسباب وجودها من ناحية أخرى ٠

وعن طريق فهم طبائع المشكلات ، وعن طريق تقدير الامكانيات ، يستطيع المسئولون عن التنمية فى هذه المجتمعات الآخذة فى النمو أن يستنبطوا أسلوبا مقننا لتطوير هذه المجتمعات ٠ أسلوبا يعتمد على استغلال الطاقات الايجابية فى المجتمع ـ بشرا وطبيعة ، وعلى مواجهة ميادين التنمية مواجهة شاملة متكاملة ـ **مع تفادى ما يحدثه تغيير نمط الحياة من انقطاع عن التراث الحضارى ٠ وبالتالى من هزات فى كيان المجتمع ٠**

وعلى هذه الاسس جميعها يمكن تحقيق تنمية متوازنة ـ تزيد من معدل الانتاج ، وتهيئ فرص الخدمات ، وترتفع بمستوى الحياة ٠ وبهذا كله تتاصل الوحدة القومية ، وتزول أسباب التوتر الاجتماعى ٠

لقد قلت أول هذا المقال ان هذا الكتاب الذى أخرجه الدكتور محيى الدين صابر من خير الكتب التى اخرجت للناس من حيث **احتواؤها على قيم ثقافية جديدة ونافعة لبناء مجتمع جديد ، على اسلوب من الحضارة جديد ٠**

وهانذا أكرر هذا القول مرة ثانية ، وأرجو الا تنقطع الصلة بين القراء وبين هذا الكتاب ٠ ومن هنا أقول بانى قد أعود اليه مرة ثالثة : أو مرات كثيرات ٠

دكتور

محمد أحمد خلف الله



ازدهار الفن المسرحي

للدكتور محمد مندور

لم يزدهر في بلادنا في عصر الثورة فن مثل ما ازدهر وانتشر فن التمثيل حتى اصبح هذا الازدهار والانتشار ظاهرة اجتماعية تستحق البحث والتفسير ·

ففي هذا العام دعت محافظات الاسكندرية وطنطا ودمنهور والمنصورة وبنى سويف والسويس المشتغلين بالادب الدرامي وفن التمثيل والاخراج في العاصمة الى القاء محاضرات وتدريبات لفرق مسرحية قررت كل من هذه المحافظات انشاءها في عواصمها وكان الاقبال على الانضمام الى تلك الفرق وسماع المحاضرات وحضور التدريبات منقطع النظير ، وفي سرعة تكونت بعض تلك الفرق وقدمت فعلا عددا من العروض المسرحية التي جذبت اليها الكثير من المواطنين من أبناء تلك المحافظات ·

وفى هذا العام لاحظت أن جامعاتنا في القاهرة والاسكندرية وأسيوط قد اشتركت في اسبوع الشباب الجامعى بفرق مسرحية من طلابها الذين بلغ عدد كبير منهم في مستواهم الفنى والثقافى مستوى الممثلين المتخصصين المحترفين ، وكل ذلك فضلا عن الارتفاع الملموس فى اختيار المسرحيات التى تقدم بها كل فريق للمسابقة فجميعها كانت من المسرحيات العالمية الهادفة التى تعالج مشاكل عصرية وثيقة الصلة بقيمنا الثورية الجديدة ، حيث رأينا فريق المعاهد العليا يتقدم بمسرحية « موت بائع متجول » للكاتب الامريكى التقدمى آرثر ميلر وفيها يعالج سطوة وقسوة الرأسمالية الجشعة ضد الكادحين المتواضعين أمثال البائع المتجول الذى قضى عمره كله متجولا يعرض انتاج احدى الشركات الرأسمالية على أصحاب المتاجر الكبرى في جميع أنحاء امريكا حتى بلغ الشيخوخة وهده التعب ومع ذلك ترفض الشركة أن تعطيه معاشا في آخر العمر بل وترفض أن تريحه من التجول لتعهد اليه بعمل فى مكاتبها مما أنزل به الشقاء واصابه بانحلال وانهيار القيم فى نفسه وانتهى به الى موت تعيس · وتقدم فريق جامعة القاهرة بمسرحية « الغربان » للكاتب الفرنسى هنرى بيك التى تصور انقضاض بعض رجال الاعمال الاشرار على أيتام شريك لهم بعد موته انقضاض الغربان على صغار الفراخ · وتقدمت جامعة أسيوط بمسرحية « سجناء الطونا » للكاتب الفيلسوف الفرنسى المعاصر جان بول سارتر وفيها يصور ماساة أسرة ألمانية من ضواحى هامبورج سبق احد أبنائها الى الاشتراك فى الحرب العالمية الاخيرة دون اقتناع منه بشرعية تلك الحرب وعدالتها مما سبب له أزمة ضمير عاتية انتهت بسجن نفسه خمسة عشر عاما فى غرفة ببيت الاسرة فى قرية ألطونا ، وبالضرورة انسجن معه أفراد الاسرة الآخرون واضطربت العلاقات الانسانية والاخلاقية بين أفرادها وتلك احدى محن الحرب العدوانية غير العادلة وغير المقنعة وبالتالى دعوة حارة الى السلام ومقاومة الجشع العدوانى الرأسمالى · وتقدمت جامعة الاسكندرية بمسرحية « زيارة المرأة العجوز » للكاتب السويسرى التقدمى المعاصر أيضا « فريدريك دورنمات » وهى مسرحية تصور كيف أن العدالة نفسها أصبحت تشترى بالمال فى العالم الرأسمالى اذ نرى فتاة يغرر بها شاب فى احدى القرى ثم يهجرها فتترك قريتها وتجوب الارض تجمع المال من الاتجار بجسدها ثم تعود الى قريتها وهى امرأة عجوز حيث تعلن تبرعها للقرية بمليون من الجنيهات بشرط أن يقتص لها أهل القرية من الرجل الذى غرر بها ويقتلوه فينفر أهل القرية ظاهريا من هذا الشرط ولكنه يسرى فى نفوسهم سريان السم وفى النهاية يقبلوه للحصول على المليون ويقبلوا اعدام الرجل · واذا كانت جامعة عين شمس قد اختارت لسوء الحظ مسرحية أقل قيمة وسلامة وهى مسرحية « جونو والطاووس » للكاتب الايرلندى شون اوكازى التى تحقر من ثورة ايرلندا الخالدة فى أعقاب الحرب العالمية الاولى فان سوء الاختيار هذا لا ينال من الظاهرة العامة التى لمستها فى هذا الموسم ظاهرة توفيق فرقنا الجامعية فى اختيار مسرحيات هادفة رفيعة المستوى شكلا ومضمونا بعد أن كانت فرق الطلاب فى السنين الخوالى لا تختار الا أتفه المسرحيات الفكاهية المبتذلة ·

والشىء الجديد والخطير حقا فى هذا الموسم هو أن مؤسسة المسرح والموسيقى قد تبنت مشروع انشاء فرقة مسرحية عمالية طالبت بها المؤسسة الثقافية العامة للعمال وأعلن فى الصحف عن انشاء هذه الفرقة حتى يتقدم لعضويتها من يشاء من

العمال الهواه ، واذا بثمانمائة عامل يتقدمون اليها وتؤلف لاختبارهم واختيار الاصلح منهم لجنة فنية كنت من بين أعضائها، وكم كانت دهشتي عندما رأيت عشرات من هؤلاء الاخوان العمال يتقدمون للمسابقة بمشاهد من مسرحيات اشتراكية النزعة لحما ودما لم أسمع بها من قبل ، ويخيل الى أنها مسرحيات هادفة ألفت ومثلت في البيئات العمالية ذاتها بواسطة هؤلاء الهواه مما يقطع بأن هذا الفن كان قد انتشر تلقائيا فى البيئة العمالية واصبح ينهض بدوره الخطير فى عملية التوعية الاشتراكية العامة التى يقوم بها أبناء الشعب أنفسهم وبخاصة فى البيئات العمالية الواعية المتفتحة ·

واذا أضفنا كل هذه الظواهر المسرحية الجديدة الى الظاهرة التى نمت وتفتحت واتسعت فى العاصمة فى السنوات الاخيرة حتى أصبحت القاهرة تضم ما يقرب من العشرين فرقة تمثيلية مختلفة الالوان من مسرح فكاهى الى مسرح عالمى الى مسرح درامى حديث الى مسرح غنائى الى مسرح عرائس الى مسرح جيب الى فرق قومية عتيدة استطعنا أن ندرك مدى ازدهار فن الدراما وفن التمثيل على نحو يكاد يطغى على ألوان الادب والفنون الاخرى من قصة الى قصيدة شعرية ، ومن سينما الى أغان ومؤلفات موسيقية بحيث تحتاج هذه الظاهرة الاجتماعية الكبيرة الى تفسير وايضاح ·

ويخيل الينا اننا نستطيع تفسير هذه الظاهرة بقانون عام استخلصه أساتذة الادب والفن الدراميون من تاريخ الآداب العالمية ، وهذا القانون يقول بأن الفن الدرامى ــ تأليفا وتمثيلا ــ انما ازدهر فى فترات اليقظة القومية العامة التى تصل اليها الشعوب فى أعقاب الاحداث القومية الكبرى ، وهم يستدلون على ذلك بثلاث فترات كبيرة فى تاريخ الآداب العالمية أولاها فترة حكم بركليس فى أثينا القديمة عندما جاء هذا الحكم فى أعقاب انتصار الاغريق القدماء فى معركتى ماراثون وسلاميس على جحافل الفرس الغازية مما أحدث يقظة قومية رائعة عند الاثينيين القدماء وفى عهد تلك اليقظة ازدهر الادب الدرامى وفن التمثيل حيث ظهر عمالقته الخالدون أمثال أيسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدس فى فن التراجيديا ثم أرسطوفانيس فى فن الكوميديا · وكانت الفترة الثانية فى عهد اليصابات ملكة انجلترا حيث حدثت يقظة قومية مماثلة على أثر انتصار انجلترا على منافستها الخطيرة فى البحار اسبانيا وبدء سيطرة بريطانيا على البحار بعد هزيمتها لاسطول الارمادا الاسبانى الشهير · ففى عصر اليصابات هذا ظهر عمالقة الدراما والمسرح شكسبير ومارلو وبن جونسون · واما الفترة الثالثة فكانت فى عصر الملك لويس الرابع عشر فى فرنسا الذى يعتبر العصر الذهبى للادب الفرنسى فقد شهد هذا العصر أيضا يقظة قومية كبيرة فى فرنسا على أثر انتصارات ذلك الملك وبنائه لمجد فرنسا الخالد وفى عهده ظهر عمالقة الادب المسرحى وفن التمثيل أمثال راسين وكورنى فى مجال التراجيديا وعملاق الكوميديا الاكبر موليير ·

واما عن سبب ارتباط ازدهار الفن الدرامى بفترات اليقظة القومية فمن الممكن أن نجده فى أن المسرح يعتبر مرآة حية للحياة وفى عصور اليقظة القومية يطيب للشعوب أن تتأمل ذاتها فى تلك المرآة الحية لتتحسس مواضع القوة والبطولة فى فن الدراما ومواضع الضعف او الفساد فى فن الكوميديا كفن ناقد للحياة ·

وفى بلادنا الحديثة عهد نسبيا بفن الدراما وفن التمثيل ، نلاحظ أن هذين الفنين قد أصابا نجاحا وازدهارا مؤقتا فى فترة اليقظة القومية التى تلت ثوراتنا الاولى مثل ثورة عرابى ثم ثورة سنة ١٩١٩ بنوع خاص حيث ظهرت نهضة مسرحية واسعة نتيجة لليقظة القومية التى تلت تلك الثورة فازدهرت فرق الريحانى والكسار وعكاشه وعبد الرحمن رشدى ورمسيس وغيرها ، حتى اذا كانت ثورة سنة ١٩٥٢ واليقظة القومية العامة الشاملة المستمرة التى تلتها لم يكن غريبا أن يأخذ الادب الدرامى وفن التمثيل فى الازدهار والاتساع والانتشار حتى يصل الى ما وصل اليه اليوم عندما نراه يتخطى العاصمة الى المحافظات ويخرج من نطاق المحترفين الضيق الى نطاق الهواة الواسع ويمتد الى الطوائف العريضة أمثال الطلبة والعمال ·

واذا كان هذا الاتساع الهائل لا نستطيع معه أن نضمن دائما الكيف الى جوار الكم والجودة الى جوار الاتساع فاننا على ثقة من أن الاستمرار وتدعيم هذه النهوض بمهمة التوعية الواسعة العميقة ، وبخاصة بأن يحقق أيضا ما نبغيه لهذا الفن من رفعة وفاعلية فى رفع المستوى الثقافى والذوقى العام فضلا عن النهوض بمهمة التوعية الواسعة العميقة وبخاصة اذا اتخذنا لهذه النهضة الاسس والعناصر والامكانيات السليمة القادرة ·

دكتور : محمد مندور

فى الشعر المعاصر

للدكتور أحمد كمال زكى

« ان الكثرة المطلقة منا — معشر الشعراء — تتورط فى الخطأ فى أثناء سعيها الى الصواب » .

عبارة أفلتت من هوارس الشاعر اللاتينى القديم يؤكد بها حق الشعراء فى الابتكار على الرغم من ان الفن يخونهم دائما ، فقد يحاول احدهم الايجاز فيقع فى الغموض ، وقد يؤثر الآخر العبارات الجزلة فتكون محصلته طنطنة فارغة ، وقد يبلغ الحذر بالثالث حدا يزحف معه على الارض اتقاء للعاصفة !

واليوم — وقد غيرت القرون الطوال على موت هوراس — نرى الفئات الثلاث بيننا ، الا أن أكثرهم يزحف على الارض بعد أن ضيع حقه فى الابتكار . والقلة التى تمسكت بهـذا الحق تواجه بتحديات الشيوخ ، ولكنها تمضى ممثلة لتيار يبدو كما لو كان منبت الصلة بالموروث التليد .

والواقع ان تيار الطليعة فى مواجهته الشعر الكلاسيكى بأنماطه الجامدة ، وفى رفضه ان يحمل تجارب امرىء القيس والنابغة وفحول بنى امية ، وفى تحطيمه للهندسية العروضية التقليدية .. الواقع انه فى ذلك كله يعطى الجانب الآخر من حياتنا الجانب المتوثب المتطلع الى امام ، وهو لايمكن ان يكون بعيدا عن الماضى ولا عن ايحاءاته ، الا ان الشاعر فيه يكون دائما أشبه بأورستس الاسطورى تلاحقه لعنة الوسائل والغايات الى الابد !

لماذا ؟

لانه يرفع رأسه ، ولانه يواجه العاصفة ، ولانه ينبثق بشعره من القلب الذى يخفق لعصره .

والكلاسيكيون ولنسمهم العروضيين ينكرون وسائله ، ولا يعترفون بأهدافه . بسبب بسيط ، هو انه يصدر عن مضامين بتلور الشك وترصد للضياع ، وتدفع بالمرء الى اودية مظلمة تشيع فيها جنازة الانسان الاجوف المتسائل عن كل شىء وعن لا شىء دون أن يظفر بجواب !

هو المعدن اذن .. طبيعة القصيدة الحديثة ، او هو تصميمها داخل حدود يخاف العموديون — اشفاقا على الطليعة أن يختنق فيها الموروث ثم يقبر .

ونحن نتساءل : هل يعنى اشفاقهم وبالتالى انكارهم انه بت فى قضية الشعر المعاصر ؟

بالطبع لا ، لان الواقع ان المجددين موجودون شاء العموديون أم لم يشاءوا . وهم موجودون لان الحياة تريدهم ولأنهم نتاج هذه الحياة ، ثم هم موجودون لان عملية الخروج على عروض الخليل ابن أحمد — والنسبة اليه من قبيل التوسع — لا تفضى الا الى ضرب جديد من الايقاع يقتضيه التطور ، كما اقتضى من قبل المزدوجات والمسمطات والموشحات .

ولقد يعترض معترض قائلا انه ليس من الطليعة من يستطيع ان يجيد كما اجاد شوقى مثلا ، فنقول: وهل بين العروضيين اليوم من احتل مكانة ذلك الشاعر ؟ قد يكون هناك ابراهيم ناجى ، وقد يكون هناك عمر أبو ريشة . وقد يكون بيننا صالح جودت، الا أننا لانستطيع أن نقارن واحدا من هؤلاء بشوقى العظيم .

وليس معنى ذلك ان أحمد شوقى أتى بما لم تستطعه الأوائل ، وانما معناه أنه كان مرحلة ، ومن حيث وقف يجب ان يسير الخلف ، وفى رأيى ان العروضيين — كخلف — لم يستطيعوا ان يسيروا الا القليل فى حين قدرت الطليعة على أن تسير وتسير !

ولا يعنى كلامى هذا ان العروضيين مزيفون ، وانما يعنى انهم فى كل ما يصدرون عنه يندفعون — بلا وعى — الى استعمال القوالب المتوارثة فى كل ما يقابلهم من اسباب تحث البطىء منهم على قول الشعر . وهم على الرغم من انهم يتعرضون للاحداث الجارية ويقترحون لونا من العلاج — باعتبارهم مسئولين اجتماعيا — يجترون الصور التى دارت فى ايقاعاتها الساذجة داخل المروى العتيق .

فهم شعراء ، ولكن بلسان غيرهم !

الخير عندهم هو ما حدده ابو العلاء المعرى على أحسن تقدير ، والصاروخ الذى غزا به السوفييت الفضاء ظليم ينهب الصحراء . وأما الطائرة فناقة يحدوها حاد ، وهكذا ...

هذا في الصور التي يرسمونها ، فاذا طرحوا القضايا ـ كمضمون ـ تناولوها ببساطة او طنطنوا عنها بحماسة ، فاشبهوا من ثم هؤلاء الذين يزحفون على الارض عند هوراس ·

والمشكلة الآن تنحصر في معرفة اى الفريقين ـ الشيوخ والشباب ـ يسلك الطريق السليم !

اعتقد أنه من الممكن أن نقول في هذا شيئا اذا اجبنا عن سؤال نطرحه وهو : هل انتفى حقا معنى الشعر فيما نسميه بالشعر المرسل ؟ ويمكن ان نسوق السؤال على النحو التالى : لماذا ينادى واحد كصالح جودت وهو احد العموديين المخلصين بان الشعر المعاصر لا وزن له ؟

الحقيقة ان القصيدة المرسلة لها رقم معينة وحداتها تفعيلات الخليل نفسها ، ولكن بتوزيع جديد يحقق المرونة الموسيقية التى افتقدها الشعر العربى بعد عبوره المرحلة الجاهلية الخصبة . واذن فمناقشة صالح جودت يجب ان تكون على أساس أن يعترف بان الشعر الجديد قائم على قاعدة نغمية يعرف هو تفعيلاتها كل المعرفة .

على ان استعماله اسلوب الشتم في خلفه مع الطليعة او اصطناعه سياسة الارهاب معهم يكشف عن شعور الشيوخ بالخوف من المستقبل . فاذا كنا نرجو نحن صادقين أن يطول هذا مستقبلهم ـ مع أنهم مرحلة ـ فنحن لا نرجو الا أن يجمعوا على ان التطور القصيدى امر واقع فعلا لانه لابد منه ، ولجوءهم الى وسائلهم في الافكار معناه عجزهم عن مواجهة الشباب عمليا ؛ لان الشتم سلاح العجز كما هو معروف · وفي رأيى حسما للنزاع انه يجب أن يفرقوا بين مدعى التجديد وبين القادر على التجديد، لان من المؤكد ان حركات التحرر يطرقها دائما الدخلاء على سنة الطبائع البشرية منذ الازل .

فصالح جودت اذن وهو يتيه بانه من الد أعداء « هذا الشيء المسمى بالشعر الجديد » عليه ان يدرك هذه المسلمة أولا ، وفي هذه الحال تنتفى الحيثيات التي يسوقها للحكم بالموت على الشعراء الشباب ·· فتوفيق صايغ مثلا لا يمكن أن يكون شاعرا لانه لا يزن ، وليس معنى انه لا يزن ان الشعر الحر كله شيء ينقصه الوزن !

هذه واحدة ، واما الاخرى فهى في صدوره عن مذهب خلقى معين ، فقد يكون الشاعر رجعيا يمجد وضعا من الاوضاع فاذا أخذ باسباب الثورة انقلب جمهوريا ، وقد يدعو الشاعر في مرحلة من عمره الى مناصرة حزب من الاحزاب فاذا اجمع على ان الاحزاب عفن صاح : بل هى الموت الزؤام !

تلك ذبذبة نسقطها من حسابنا ، ولكنا نطالبه في المقابل الا يأخذ الشعر الحر كله بنماذج شوقى ابو شقرا وعصام محفوظ واوكتافيو باث ويوسف الخال وادونيس في مرحلته قبل الاخيرة .

هؤلاء ماجورون او فيهم من يؤجر ، وهؤلاء شعوبيون او فيهم من يدعو الى الشعوبية ·· فليس عندى الدليل كله ، وانما عندى اى فيهم من ينادى بقومية غريبة ومن مصلحته ان يحطم «البيان العربى » .

يوسف الخال مثلا شاعر مهما يقل فيه صالح جودت ، ولكنه من دعاة الانفصال ، ويرى من مصلحته ان يفسد القصيدة العربية لانها شعار من شعارات القوميين العرب . واوكتافيو باث ليس شاعرا لانه يقول مصطنعا اطار القصيدة الحرة :

القمر
كأنه سكير وقع على بطنه
والكلاب المتسكعة
تغسل نواة القمر
يمر موكب شاحنات
فوق اجساد القمر !

فهل يستوى الاثنان في الحكم على شاعريتهما ؟ بداهة لا ، برغم اخذ الاثنين بتهمة واحدة . واذن فقد كانت الشعوبية بابا دخل منه ادعياء الشعر الى الشعر ، الا انها لا يمكن أن تتخذ أساسا لانكار القصيدة الحرة على الاطلاق .

ولنعد مرة اخرى الى شعر العموديين ، فالواجب الا نأخذ احدا على غرة ، بل الواجب الا يكون التمويه عندنا فيصلا اخيرا .. لنعد الى واحد منهم ـ كنموذج ـ لنرى كيف يصف طائرة ، انه يقول :

واذن حادى الركب ان اوثقوا الحبى
فان مدب العاصفات شديد
وزف جناحاها ومال ذنابها
وصلصل حيزوم وقرب جيد
واقعت على سكانها وترجحت
ترجح سكرى تنثنى وتميد

تحذير: الشاعر هنا يصف طائرة ولا يتحدث عن ناقة ولا عن كلب! ان واجبنا ان نكون منصفين كما ان واجبه هو الا يزعم ان تلك الابيات رائعة، والا فنحن - بمقياس تجارب العصر - نقول انه هذا ليس شعرا لانه يكشف عن موقف كاذب .. اذ لا يمكن ان تقعى الطائرة، ولا يمكن ان يحتبى ركابها حتى لكانهم فى ربع خثعم او فى فناء عبس.

انا لا الوم الشاعر الكبير صاحب تلك الابيات مع ذلك لانه عجز عن ان يرى اكثر مما راى ? وانما الوم صالح جودت لانه يصفق له، ولكن ليس ينبغى فى هذا الحال ان نقول ان الشعر ينبغى ان يكون هكذا والا فلا، على اساس ان بين المجددين فئة مارقة يهمها الضياع!

اظن ان الغاية الحقيقية من مقالى هذا قد اتضحت الآن، واظن ايضا اننا بصدد الاجابة عن السؤال: اى الفريقين يسلك الطريق السليم؟

لقد راينا ان الشعر شعر بالوزن اولا، تلك مسلمة .. ولكن شقاء الشاعر الشاب يرجع - مهما يكن سببى المباشر - الى ادراكه ان ذاته الفنية حبيسة اطر الاولين، فانتفض وكانت انتفاضته قائمة على عاملين احدهما نفسى والآخر اجتماعى، ومن الممكن ان نضيف جماليات العصر كسبب من اسباب التطور الجديد للقصيدة.

ان الشاعر الشاب - مهما يبلغ غضب العموديين عليه - لا يريد ان يبدد فنيته فى تخايلات الاولين.. رؤيته الشعرية بعيدة كل البعد عن رؤية النابغة والاعشى وطرفة ولبيد، فهو فى صراع بين ان يفى لتقليديات القصيدة - كما يراها الشيوخ العموديون وبين ان يفى لتجربته الحقيقية، وفى ايمانه بان عملية الخلق فى حد ذاتها عملية طبيعية للانطلاق يؤكد ان انسانيته لا ينبغى ان تذهب ضحية الانماط المتوارثة.

وقد شوهد انسان الارض يغزو الفضاء، ولمس المادة طاقة كهربائية وسمع الصورة، ثم اختلفت امامه نظرية ثبات الكون .. فماذا يفعل؟

انه لا يريد ان يوطن نفسه على الرضا وهو يرى تلك القفزات المذهلة، لم هو لا يمكن ان يرضى وامامه دول تباد ودول تقوم، وحرب تأتى على الاخضر واليابس فى لحظات.

ثمة ثورة .. ومن الطبيعى ان تتحفز طاقته كفنان للاعلان عن تلك الثورة بكل ابعادها واعماقها!

هو شاعر، يدعو الى رسالة وتلاحقه العثرات .. يحيا حياة تنطوى على القلق وتثقل بالتساؤلات ثم ينظر الى المكان والزمان نظرته الى شىء تضل المعرفة فيه.

وهو يريد ان يتبنى قضية لانه صاحب موقف، ويرفض ان يجعل قصيدته سببا من اسباب اللذة فقط على اساس ان للقصيدة حق اللذاذة احتكاما الى التقاليد.

وهو يدرك حقيقة المرض ويريد ان يتخطاه الى الايجابية السليمة، ويسمع الانات مختلطة بالنغم، ويستشعر العقم فى تمرسه على الاخصاب.

هو هذا، وهو اكثر من هذا .. ويريد ان يعبر بامانة ويقرر ويفسر ويقترح كما يقترح الشيوخ أو كما ينبغى ان يقترحوا، فكيف يكون الهزج او الطويل او الخبب او السريع او الرمل اطار تلك الحياة القلقة المعقدة؟

ومع ذلك فلو نظرنا الى القضية من زاوية اخرى قلنا ان الايقاع الذى يناسب ارقال الناقة او خبب الفرس يختلف بالضرورة وبالقوة عن انطلاقة الصاروخ او سير القطار .. البدوى الذى حصر الخليل ايقاعات فنه الشعرى وحددها بأبحره لا يمكن ان يظل قدوة للمتحضر الذى يعيش فى القرن العشرين وينكر بطء الحركة ولا يسلم بان فى العجلة الندامة!

حاجته الفنية اذن نابعة من حاجته الاجتماعية، وهذه الحاجة شكلتها اسباب نفسية تختلف كل الاختلاف عن اسباب الاولين. ومعنى هذا انه وهو يتحرر من قيود الخليل - وقد تحرر منها العباسيون وغيرهم - انما يمارس حقه الطبيعى كفنان متطور، ومن ثم لا ينبغى ان نزعم انه لايقول شعرا او ان شعره لا وزن له.

وبعد ...

فهل اكون اجبت عن السؤال؟ اظن نعم ... وللاستاذ صالح جودت بعد ذلك ان يعترض.

دكتور

احمد كمال زكى

وحدة مصر وسوريا على مدى التاريخ

بقلم : محمود الشرقاوي

- ٢ -

هذه الصلات الطويلة العريقة ، التى اجملنا ذكرها فى المقال الأول « العدد ١٠٥٨ من الرسالة » أثمرت روابط ثقافية أصيلة بين كل من مصر وسوريا . وقد بقيت هذه الروابط معالم ثابتة لا يمحوها الزمن على ما كان بين البلدين من وحدة عريقة ممعنة فى القدم راسخة على الايام .

نجد من ثمرات هذه الروابط فى عصور الفراعنة أن الآلهة القديمة التى كان المصريون يتعبدون اليها موجودة كذلك معروفة فى سوريا يتعبد اليها السوريون كما يتعبد اليها المصريون . فالمعبود « اوزوريس » المصرى يعرفه أهل سوريا ويعبدونه ، وتقام له تماثيل كثيرة فيها كشفت عن بعضها الكشوف الحفرية فى عصرنا الاخير .

وفى اللغة المصرية نجدهم يسمون أهل سوريا باسم أبناء « الجار » أو «الخال» ونجد أسماء مسميات متشابهة أو مشتركة بين اللغتين ـ السامية والمصرية ـ ذكر الاثرى المصرى أحمد كمال طائفة منها ، كأسماء : البيت ، والباب ، والبئر ، والبركة ، والكاهن ، والرأس ، والحنث : « الحنطة » وجومان : « الرمان » والزن « الزيت » وكثير غيرها . وما اسم « الليطانى » نهر سوريا الا اسم مصرى : « اللودانى» ومن « سوريا » عرف المصريون القدماء « الخيل » ورسموها فى نقوشهم وادخلوها مصر . وفى بعلبك وغيرها من مدن الشام شواهد كثيرة ناطقة بقوة الروابط الثقافية التى أوجدتها وأكدتها سنوات الوحدة الطويلة التى قامت بين مصر وسوريا فى العصور القديمة على عهد الفراعنة .

ثم يجىء الغزو الفارسى لسوريا فلا يجد الهاربون منها ملاذا لهم سوى مصر وعروسها : الاسكندرية . حتى ذكر المؤرخون أن سكانها زادوا زيادة كبيرة بمن كان ينزلها من أهل الشام الذين أخرجهم من ديارهم غزو الفرس . وانهم وجدوا فيها وفى غيرها من بلاد مصر الراحة والأمان والعيش الطيب الكريم . وقصد بعض الرهبان من مصر اليها يواسون أهلها ويعيدون بناء الكنائس التى هدمتها الحرب ، ومنها كنيسة بيت المقدس التى أعيد بناؤها ورونقها على يد كاهن مصرى اختاره أهل بيت المقدس بعد ذلك زعيما عليهم ، وتوحدت بذلك الكنيستان . وجاء بعد ذلك بسنة واحدة : (٦١٦) م الغزاة الفرس الى مصر وهدموا الاسكندرية فرد أهل الشام لأهل مصر ما لقوا من كريم المواساة بما هو أعظم منه وأكرم . وحموا من استطاعوا حمايته من رهبانهم وأطفالهم ونسائهم وذخائر كتبهم وآثارهم .

وجاء نور الاسلام وهداه الى الشام مع جيش المسلمين وقائده خالد ابن الوليد فدخل بلادا كانما كان أهلها يترقبونه ، حتى سمى البلاذرى فتح الشام : « الفتح اليسير » . ودخلت جيوش المسلمين دمشق فى السنة الرابعة عشرة للهجرة : (٦٣٥ م) ثم لم يلبثوا أن عرفوا أن الشام ومصر بلدان يكمل بعضهما بعضا وانه لا أمان لأحدهما الا بأمن الآخر ، فلم تمض سنوات كان لابد من مضيها للقضاء على ما بقى من نفوذ الدولة الرومانية ولتنظيم البلاد ، حتى جاءت جيوش الاسلام والعرب تطرق أبواب مصر يقودها عمرو بن العاص ، وتم فتح الاسكندرية فى سنة ٢٢ هـ .

وبذلك بدأت وحدة سياسية ودينية واقتصادية كانت أكثر سنواتها الطويلة قوية راسخة ، وأقلها ضعيفة متخاذلة ، ولكنها فى جملتها لم تنفصم ولم يبتعد أهل البلدين بعضهما عن بعض الا مقهورين غلبهما سلطان ظالم ، أو مبلبلين استيقظت بينهما فتنة نائمة .

جاءت الفتنة الكبرى بقتل عثمان بين صلاته وقرآنه ، فجمعت الشعبين آصرة من الاعتدال فى

الميل والقصد في الخصومة ، وتوحد الشعبان في الولاء السياسي لمعاوية فاستمعوا لدعاته وخضعوا لحكامه وولاته ، وتوحدوا في الوفاء العاطفي لعلي وبنيه وشيعته فاقاموا لهم المساجد والمنارات وشيدوا لهم المعابد والمزارات وخصوهم بمزيد من المحبة ·

وصحت عند أكثرهم نصيحة علي : (كن في الفتنة كابن اللبون : لا ظهر يركب ، ولا ضرع يحلب) فسلموا وامنوا أكثر مما أمن غيرهم ·

وتوحد الشعبان من يومئذ في التوسط بين المذاهب فالتزموا - الا أقلهم - في العقيدة مذهب أهل السنة والجماعة ، والتزموا - الا أقلهم - في الشريعة واحدا من المذاهب الأربعة ·

ويكون من أثر الفتح العربي أن تنزح قبائل وجماعات وجيوش الى مصر للاقامة والتجارة والحرب فيمتزج الشعبان أكثر فاكثر ، بالاقامة والمصاهرة والمتاجرة · ويترك المصريون ، شيئا فشيئا ، لغتهم القبطية الى العربية ، ودينهم المسيحي الى الاسلام · وكذلك يفعل أهل الشام ·

ويصطف الرجال من أهل مصر وسورية تحت راية واحدة ، راية معادية ، وقيادة واحدة ، قيادة عقبة بن نافع وعقبة بن عامر ، يسوون صفوفهم ويشهرون سيوفهم ، يرفعون أعلامهم ويقرنون خيولهم ثم يخرجون متكاتفين لينشروا دين الله ويمكنوا سلطان الدولة ويعلوا كلمة الحق ويحرروا رقاب العباد من ذل الحكام والكهان والجهلة · فيثبون على الدولة الرومانية والجهالة الوثنية في برقة والسودان ورودس فيبيدون جندها ويمحقون سلطانها ويدكون قلاعها ويحرقون سفنها في البر والبحر ·

ويخرج حفظة القرآن وحملة الحديث فيسيحون في الارض وينتشرون في الحواضر والقرى والثغور ، من شمالي سوريا الى دمشق الى القاهرة والاسكندرية الى قرب أسوان ، يرشدون الناس بالقدوة الطيبة ويعلمونهم بالموعظة الحسنة ، لغتهم العربية ودعوتهم كلمة الله ووجهتهم الكعبة ·

يولد الشافعي ويدرج في غزة من أرض الشام ويرحل الى العراق ثم يهبط مصر فيجدد فيها مذهبه ويجد من أهلها أتباعا وتلاميذ ، ويقضي في فسطاطها بقية عمره ، ويلقى بها ربه فيوارى في ثراها ، ويشيع مذهبه في مدنها وقراها ·

بلدان يملك أمرهما حاكم واحد

خليفة يقيم في دمشق ويرسل نوابه

وقضاته وحكامه يقضون ويحكمون باسمه في دمشق ، وبيت المقدس ، وبيروت · وفي الفسطاط والاسكندرية ودمياط وأسيوط · يمرض واحد منهم فيجيء « حلوان » راحلا مستشفيا فمقيما ، ينشيء فيها القصور ويعمر المساجد وينشيء البساتين الحسان · كما فعل عبد العزيز بن مروان ·

وهكذا يظل الحال في مصر وسورية ما بقيت الدولة الأموية · يحكم مصر من رجالها الحكام فيسير بعضهم في أهلها سيرة الحزم فيخشونه · ويسير بعضهم فيهم سيرة العدل والرفع فيحمدونه ·

كما كان أخو معاوية عتبة · وكما سار فيهم عقبة بن عامر ، الصحابي الحافظ الشاعر ، الذي كان لاهل مصر فيه اعتقاد عظيم وله عليهم فضل ، كما قال مؤرخ مصر ابن تغرى بردى في « النجوم الزاهرة » ، وكما كان العفيف العدل عبد الملك بن رفاعة الفهري ·

حتى اذا اضطرب أمر الدولة في الشام ، لم يجد رجالها وخليفتها مروان ملاذا له سوى مصر ، التي حمته واعانته ، ثم تدول الدولة وتدور الدائرة على بني امية فتقع كل من سورية ومصر تحت سوط العذاب وتجمع بين شعبيهما اواصر المحنة · ولكنهما - بعد أن تهدأ الفتنة وتخف المحنة - يعودان فيحكمهما أمير واحد يحكم باسم الخليفة العباسي في بغداد ، كما فعل الرشيد في توليته أبي مسلم عبد الملك بن صالح ، وكما فعل المأمون في تولية طاهر بن الحسين · ولكن الثورات والانتفاضات ظلت تثور وتخمد في كلا البلدين فترة طويلة ، لما بينهما

من وحدة الشعور وتوافق العاطفة والميل ، وما كان يقع باهلهما من ظلم الحكام وجبروت الطغاة • وبخاصة عندما اخذ العباسيون يسلطون على الشام جند الترك من « افريدون » واضرابه • وكم من ثورة قامت وتلاقت في مصر وحمص وحوران ودمشق ، في هذه السنين التي كان فيها الشعبان رفيقي بلاء وحرب وعذاب •

ثم يفيق الشعبان من هذه الغاشية فيظهر بطلهما احمد بن طولون ، الذى فصم علقتهما مع بغداد ، وخلص أهل مصر والشام من ذل حاكميها سلالة أفريدون وخاقان وارخون • واستقل بمصر وسورية وجعل منهما بلدا واحدا ينعم بالهدوء والاستقلال والقوة وسعة العيش • وخلص بلاد الشام كلها من شر القرامطة الباطنية فلم يبق منهم غير فلول تلوذ برءوس الجبال وتتورى فى بطون الأودية ••

ولكن هذه الدولة الواحدة الفتية القوية دالت بعد أربعين سنة • ومع ذلك لم تعد مصر ولا سورية الى حكم العباسية ، بل قامت فيهما دولة أخرى موحدة هى الاخشيدية وعرف الشعراء طريقهم من الشام وغيرها الى القاهرة حيث يمدحون حاكم البلدين وسلطانهما كافورا فيعطى ويثيب ويجزل • وكان بعض ولاة مصر وسورية فى هذه الدولة يحكمون الحجاز أيضا ، كما كان الامر مع أحمد بن على الاخشيدى ، الذى « كانوا يدعون له على منابر الشام ومصر والحجاز » •

وقويت ، مرة أخرى ، فتنة الباطنية فى الشام ، واشتد ظلم الاتراك فى مصر • فأرسل بعض أهلها رسلا وكتبا الى الدولة الناشئة القوية فى المغرب : دولة المعز لدين الله الفاطمى فقدم ولم يلبث الفاطميون فى مصر الا بمقدار ما ينتظم به أمرها وأمرهم ثم صعدوا الى الشام حيث كانت تقع بين بلاءين عظيمين : بلاء الباطنية من الداخل ، وبلاء الصليبيين من الخارج ومن بعض الثغور والبلاد التى استطاعوا أن يدخلوها • واستطاعت الدولة الفتية القوية ، بمعونة جند من مصر ، أن يخرج الروم من الشام ، سنة ٣٦٤ : (٩٧٤ ــ ٩٧٥ م) بعد أن كانت تسيطر على صيدا وبعلبك وبيروت وجبيل • كما دخلت دمشق جيوش مصر الفاطمية •

وبقيت بعد ذلك حروب خرج لها الخليفة الفاطمى نفسه : « العزيز » فى سبعين الفا من جنده وجند مصر فطهر سوريا ، وأسر « افتكين » وعاد به الى القاهرة • وأسر قائد القرامطة فأخرجه منفيا من الشام كلها : الى الأحساء •

وحكم العزيز هذا ، ابن المعز ، مصر والشام بعد أن عادا بلدا واحدا ، احدى وعشرين سنة • وكان ، فى بعض هذه السنين ، يحكم الموصل أيضا ، وبلاد اليمن • ويخطب باسمه على منابرها ومنابر الحجاز والمغرب • وفى عهده جاء سفراء الروم ورسلها يحملون له الهدايا ويرجون الصلح ، فأجابهم العزيز واشترط شروطا شديدة التزموا بها كلها ، منها أنهم يحلفون أنه لا يبقى فى مملكتهم أسير الا أطلقوه ، وأن يخطب للعزيز فى جامع قسطنطينية كل جمعة ، وأن يحمل اليه من امتعة الروم كل ما فرضه عليهم •

ثم رد السفراء والرسل ، بعد أن امضوا هذه المعاهدة لسبع سنين •

محمود الشرقاوى

شاعر الرسول فى محنة

بقلم : على العمارى



نحن الآن فى السنة التاسعة من الهجرة ، أو على وجه التحديد فى شهر رمضان من هذه السنة ، وقد رجع النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين ألفا من أصحابه الى المدينة المنورة بعد غيبة استغرقت خمسين يوما منذ توجه عليه السلام الى (تبوك) ليغزو الروم فى بلاد الشام ، وكان ذلك فى أواخر رجب الى أن عاد ظافرا مكرما فى أوائل رمضان ، وها هى ذى مدينة الرسول تموج بالبشر والفرح ، ولا يزال النشيد الذى استقبل به المسلمون خارج المدينة ، والذى هزج به النساء والصبيان والولائد لا يزال هذا النشيد يملأ الأسماع :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

وقد كان يوما عصيبا شاقا ذلك اليوم الذى بدا فيه النبى يتجهز لغزوة تبوك ، فقد كان المسلمون فى جهد شديد ، وبلاء عظيم ، كانوا فى عسرة من الزاد حتى تزودوا التمر المدود ، والشعير المسوس ، وبلغت بهم الشدة الى أن اقتسم الثمرة اثنان ، وكانوا فى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها ليشربوا ما بها من ماء ، وفى عسرة من المركب حتى كان العشرة يعتصبون بعيرا واحدا ، وكانوا فى شدة زمان من الحر الشديد ، والجدب والقحط ، ولذلك سمى الله هذه اللحظة فى حياة المسلمين (ساعة العسرة) وأعلن أن بعض القلوب المؤمنة ، الصادقة الايمان كادت تزيغ فتميل الى التخلف عن الجهاد ، ولكن الله ربط عليها ، وثبتها فاتبعت الرسول فرضى الله عنها .

ولكن فتى جلدا ، قويا أيدا ، فى نعمة ويسر ، شهد له الرسول بأنه كان يحسن صفة الحرب ، وبأنه دافع عن أعراض المسلمين فأحسن الدفاع ، وقد أسلمت بعض القبائل خوفا من بيتين قالهما ، فقد روى أنه بينما كان الرسول فى سفر طلب اليه أن يحدو ، فقال :

قضينا من تهامة كل حق
وخيبر ثم أجمنا السيوفا
فخيرها ، ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فقال عليه السلام : والذى نفسى بيده لهى أشد عليهن من رشق النبل ، ويقال : ان دوسا أسلمت فرقا من هذه الكلمة ، وقد كان هذا الشاعر ثالث ثلاثة من الشعراء وقفوا لشعراء قريش ، وناضلوا دون الدعوة ، وبلغوا من ذلك ما حمده لهم الرسول والمؤمنون ، وكان جيد الشعر حتى قال بعض المتذوقين للشعر ان أشجع بيت وصف به رجل قومه قول هذا الشاعر الصحابى الجليل :

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا
يوما ونلحقها اذا لم تلحق

وقد شهد هذا الفتى جميع غزوات الرسول ماعدا

بدرا وقال عن نفسه : لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وان كانت بدر أذكر فى الناس منها ، كما حدث عن نفسه أيضا بانه لم يكن فى يوم من الأيام اقوى ولا أيسر منه حين هم النبى بغزوة تبوك ·

هذا الفتى الجلد الموسر يرى رهطا من المسلمين الصادقين يذهبون الى الرسول يطلبون اليه ان يهيىء لهم رواحل يغزون عليها فيعتذر الرسول بانه لا يجد ما يحملهم عليه فيعودون وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ·

ويرى عثمان بن عفان رضى الله عنه يقدم للرسول الف بعير ، وسبعين فرسا ، وعشرة آلاف دينار فيقلبها النبى فى حجره ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ·

ويرى قوما من المنافقين حين تاهب الرسول للخروج يقولون : لا تنفروا فى الحر ، فينزل قوله تعالى : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا ، وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » ·

يرى كل هذا ولكنه يتردد فى الخروج ، ويظل بين عزيمة وتراخ حتى يسرع الناس ، فيهم أن يدركهم ولكنه لا يفعل ، وينظر حواليه فلا يرى متخلفا الا رجلا متهما بالنفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولكنه يجد تسعة من المسلمين منهم اثنان شهدا بدرا قد تخلفوا فيسرى ذلك عن نفسه بعض الشىء ·

ويضرب بعض اصحاب النبى المثل الرفيعة فى حب الرسول ، والجهاد ، ولكن الله لا يشرح صدره للحاق بالمجاهدين ؛ لأمر هو بالغه فلا شك أنه علم بقصته ذلك الصحابى الجليل الذى بلغ بستانه ، وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل ، وبسطت اليه الحصيرة ، وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر ، وقال : ظل ظليل ، ورطب يانع ، وماء بارد ، وامرأة حسناء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ، ما هذا بخير ، فقام ورحل ناقته ، وأخذ سيفه ورمحه ، ولحق بالغزاة المجاهدين · ولكن هذه القصة الرائعة لم تشد من عزمه ، ولم تقض على تردده فيظل فى المدينة حتى يرجع الجيش ، فيتقدم الى الرسول ليسلم عليه فيبتسم له النبى تبسم المغضب ، ويؤنبه على تخلفه ، ولكن الرجل وقد راى أكثر من ثمانين رجلا يعتذرون للرسول ، ويحلفون له فيقبل الرسول علانيتهم ، ويعفو عنهم ، يابى أن ينتحل المعاذير ، او يلجا الى الجدل مع قدرته عليه، ويعلنها للرسول بانه ما كان صاحب عذر ، ويرجو عقبى الصدق عند الله · وقد نهج نهجه فى هذا صحابيان آخران هما مرارة بن الربيعة العامرى ، وهلال بن أمية الواقفى ، وأولئك النفر الثلاثة هم (الثلاثة الذين خلفوا) أما السبعة الآخرون من المؤمنين المتخلفين فقد اشتد بهم الغم والحزن ، فاوثقوا أنفسهم فى سوارى المسجد وأبوا أن يحلهم أحد غير رسول الله ، ولكن الرسول لم يقدم من ذات نفسه على حل وثاقهم ، وانتظر بهم حتى نزل قوله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم » فيحل النبى وثاقهم ويعفو عنهم ·

ويرجىء أولئك النفر الثلاثة ، وينهى الناس عن كلامهم ، فيجتنبهم الناس حتى أقرب المقربين اليهم فيجلس الرجلان فى بيتيهما يبكيان ، ويبقى صاحبنا مترددا بين بيته والمسجد ، ويشهد الصلاة ويطوف فى الأسواق ، ولكن احدا لا يكلمه ، ويحضر الصلاة مع رسول الله ، ويظل يسارقه النظر ، ولكن الرسول يعرض عنه ؛ بل ويتسلق جدار ابن عم له فيسلم عليه فلا يرد عليه السلام ·

ويقبل شهر شوال فيرتجف شاعر الرسول أشد الارتجاف ، ويضطرب أشد الاضطراب وتضيق عليه الأرض بما رحبت ، وتضيق عليه نفسه ، ذلك أن سورة باكملها تنزل فى شأن غزوة تبوك ، ويسمعها ، ويقرأها فاذا هى ذات طابع خاص ، فهى لم تبدأ كغيرها من سور القرآن ببسم الله الرحمن الرحيم لما فيها من وعيد شديد ، ولما اشتملت عليه آياتها من صرامة وتخويف ، فهى تهدد الكافرين ، وتفضح المنافقين ، وتنال ببعض آياتها المؤمنين ، وتشتهر بينهم باسم (المبعثرة) لأنها كشفت وبعثرت نوايا المنافقين وتسمى الفاضحة ، وأخيرا تسمى سورة (التوبة) ·

ويبتدىء صاحبنا يتلو السورة فاذا أولها اعلان لبراءة الله من الكافرين المعاهدين : (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) ولا يكاد يمر فيها قليلا حتى يجدها تمجد الجهاد والمجاهدين : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم » .

ويكاد ينخلع قلبه من بين جنبيه حين يمر بهذه الآية التى يدرك شدة وقعها المؤمنون الفاقهون : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

حقيقة ، هو يحب الله ورسوله ، وهما أحب اليه مما سواهما ، وحقيقة هو لم يتخلف لايثار شىء من هذه الشاغلات ، ولكنه يخشى أن يكون الشيطان تدسس الى قلبه ، فى بعض اللحظات ، وللشيطان همس خفى ، ووسوسة غامضة ، فيكون من الفاسقين ، ويكون بمعرض لهذا التهديد العنيف .

ويشتد حزنه وألمه حين يصل الى قوله تعالى : (الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا) والى قوله تعالى يوبخ المتخلفين ، ويبين عن سوء طوياتهم : « لو كان عرضا قريبا ، وسفرا قاصدا لاتبعوك . ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معك ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم انهم لكاذبون)

ولكن الرجل مع هذه الشدة التى يعانيها ، وهذا الضيق النفسى الذى يعيش فيه يعرف لدينه حقه ، ولرسوله منزلته ، وندعه يحدثنا عن نفسه فيقول : بينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الى ، حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان ، وكنت كاتبا ، فقرأته ، فاذا فيه : أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ، ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك ، قال : فقلت حين قرأتها ، وهذه أيضا من البلاء ، فتياممت بها التنور فسجرتها بها .

ويزداد البلاء شدة بعد الاربعين ، فيأتيه أمر من الرسول بأن يعتزل امرأته ، كما يجىء هذا الأمر لصاحبيه ، ويمتثلون لأمر الرسول ، ويظلون يعانون من هذا البلاء الى أن تكمل المدة خمسين يوما ، وهى نفس المدة التى قضاها المسلمون المجاهدون خارج المدينة ، فينزل قول الله تعالى : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » .

وحينئذ يعود الفرح الى المدينة ، وتنطلق البشرى نحو النفر التائبين ، ويقف أحد الصحابة على الجبل ليعلنها ، ويقبل صاحبنا الى رسول الله فيتلقاه الناس فوجا فوجا يهنئونه ، ويقولون : لتهنئك توبة الله عليك ، ويسلم على رسول الله ، وهو يبرق وجهه من السرور ، ويقول : أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك ، قال : وقلت يا رسول الله ان الله انما نجانى بالصدق ، وان من توبتى الا أحدث الا صدقا ما بقيت قال : فو الله ما علمت أن أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا أحسن مما أبلانى الله به ، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله الى يومى هذا ، وانى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وهكذا عاش شاعر رسول الله كعب بن مالك الانصارى ، فى هذه المحنة القاسية ، وخرج منها نقيا طاهرا ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله .

على العمارى

هل للقاتل توبة؟

بقلم : أحمد فتحي بهنسي

قال بعض الفقهاء ان المذنب اذا عوقب فى الدنيا لا يعاقب فى الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم : **من اذنب ذنبا فعوقب به فى الدنيا لم يعاقب به فى الآخرة .**

عن الترمذى عن على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا فالله أعدل من أن يثنى على عبده فى الآخرة . ومن أصاب حدا فستره الله عليه فالله أكرم من أن يعود فى شىء قد عفا عنه .

وفى رواية عن عبادة بن الصامت قال :

كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال : « تبايعونى على الا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق، فمن وفى منكم فاجره على الله ، ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له . ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه . زاد فى رواية : فبايعناه على ذلك رواه الخمسة الا أبا داود .

وقال آخرون : **ان الطهرة عن الذنب لا تحدث باقامة الحد بل بالتوبة ولهذا يقام الحد على كره منه .**

الا أن الأمر قد أثار مشكلات بالنسبة للقاتل عمدا لما لجريمة القتل من وضع خاص لما ورد فيها من آثار مختلفة .

قال الله تعالى : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها** » .

وروى النسائى : أخبرنا الحسن بن اسحق المروزى «ثقة» قال : حدثنى خالد بن خداش عن بريدة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** » . وروى عن أبى وائل عن عبد الله قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء » .**

ولذلك فقد اختلف الفقهاء فى توبة القاتل سواء نفذت عليه العقوبة أم لم تنفذ لسبب من الأسباب .

روى البخارى عن سعيد بن جبير قال : اختلف فيها اهل الكوفة ، فرحلت فيها الى ابن عباس فسالته عنها فقال : نزلت هذه الآية :

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جنهم » هى آخر مانزل ومانسخها شىء . وروى النسائى عنه قال : سالت ابن عباس هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة ؟ قال لا . وقرأت عليه الآية التى فى الفرقان : « والذين لايدعون مع الله الها آخر » ، قال : هذه آية مكية نسختها آية مدنية : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه .

وروى عن زيد بن ثابت نحو ذلك .

كما ذهب المعتزله الى ذلك الرأى وقالوا :

هذا مخصص عموم قوله تعالى « ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » ورأوا ان الوعيد نافذ حتما على كل قاتل . فجمعوا بين الآيتين بأن قالوا : التقدير ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء الا من قتل عمدا .

الا أن غالبية الفقهاء أجمعوا على أن للقاتل توبة كغيره من العصاة للأسباب الآتية :

١ ـ ان آية « من قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها» آية خاصة نزلت فى واقعة معينة فلا تتعداها الى غيرها من الوقائع .

فقد اجمعوا على ان الآية نزلت فى مقيس بن حبابه وذلك انه كان قد اسلم هو واخوه هشام بن حبابه فوجد هشاما قتيلا فى بنى النجار فاخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فكتب له اليهم أن يدفعوا اليه قاتل اخيه وارسل معه رجلا من بنى فهر ، فقال بنو النجار : والله لانعلم له قاتلا ولكنا نؤدى الدية فاعطوه مائة من الأبل ثم انصرفا راجعين الى المدينة

فعدا مقيس على الفهري فقتله بأخيه وأخذ الابل وانصرف الى مكة كافرا مرتدا . » وفي رواية : وثب على قاتل أخيه فقتله » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا أؤمنه في حل ولا حرم** » . **وامر بقتله يوم فتح مكه وهو متعلق بالكعبة .**

١ ـ ليس الأخذ بظاهر هذه الآية باولى من الأخذ بظاهر قوله : ان الحسنات يذهبن السيئات .

وقوله تعالى : وهو الذى يقبل التوبه عن عباده .

وقوله تعالى : ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

والأخذ بالظاهرين متناقض فلا بد من التخصيص .

٣ ـ ان الجمع بين آية الفرقان :

« والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامه ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما » .

وآية النساء : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها** » .

ممكن ، فلا نسخ ولا تعارض . وذلك بأن يحمل مطلق آية النساء على مقيد آية الفرقان فيكون معناه : فجزاؤه جهنم خالدا فيها الا من تاب ، لا سيما وقد اتحد الموجب وهو القتل والموجب وهو الايعاد بالعقاب .

٤ ـ حديث عبادة بن الصامت الذى سبقت الاشارة اليه .

« تبايعونى على الا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، الخ ..

٥ ـ روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه ، فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم ، فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبه ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ إنطلق الى ارض كذا وكذا ، فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولاترجع الى ارضك فانها ارض سوء ، فانطلق حتى اذا نصف الطريق آتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءتائبا مقبلا بقلبه الىالله وقالت ملائكةالعذاب: انه لم يعمل خيرا قط ، فاتاهم ملك في صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : قيسوا مابين الأرضين ، فالى ايتهما كان ادنى فهو له ، فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمة ، قال قتادة : فقال الحسن : ذكر لنا انه لما اتاه الموت ناء بصدره » .

٦ ـ ان آية : « والذين لايدعون مع الله الها آخر ... الخ آية مدنية وليست مكية كما نسب الى ابن عباس ويوفق البعض بين قول ابن عباس واصحابه وقول اهل السنة بان ابن عباس حينما أفتى بأن ليس للقاتل توبة انما عنى المستحل للقتل .

روى يزيد بن هارون قال : اخبرنا ابو مالك الأشجعى عن سعيد بن عبيدة قال :

جاء رجل الى ابن عباس فقال : المن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ .

قال : لا ، الا النار ، قال : فلما ذهب قال له جلساؤه : أهكذا كنت تفتينا ؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة : قال : انى لاحسبه رجلا مغضبا يريد أن يقتل مؤمنا : قال : فبعثوا فى أثره فوجدوه كذلك .

وبذلكنستطيع القول بانالقاتل كغيره منالعصاة توبته الى ربه مقبولة منه . وهو ما اتفق عليه الائمة الأربعة .

احمد فتحى بهنسى

العلم والإيمان

للشاعر: حسن جاد حسن

سما الى الافق حتى عانق القمرا … وغاص فى القاع حتى طوق الدررا
وغالب البحر حتى راض جامحه … وذلل البر حتى انطق الحجرا
وجال فى القفر فاخضلت خمائله … وشق فى الصخر حتى فجر الغدرا
طوى المسافات فى لمح وقربها … فما نحس بها بعدا ولا سفرا
ورد عيسي ، فاست كفه سقما … اعيا ، ورد الى الاحياء محتضرا
امنت بالعلم يعلى كل شامخة … ويجلب الخير او يستدفع الضررا
امنت بالعلم للاوطان ينهضها … ويسعد الفرد فى دنياه والبشرا
امنت بالعلم يذكى عزم امته … باسا ويدرا عنها الضعف والخورا
امنت بالعلم يبنى للسلام ، ولا … ادين بالعلم يجنى الفتك والخطرا
امنت بالعلم ، والاخلاق تعصمه … ولا ادين به حمقا ولا بطرا
امنت بالعلم يهدى للاله ، ولا … اجل علما من الايمان قد صفرا
والعلم ان لم تقده نحو غايته … روح تردى الى المهواة وانحدرا
اودى بعامر (هرشيما) وغامرها … ولم يدع من بقايا ارضها اثرا
وخاف العالم الحيران فى قلق … وشب فيه اوار الخوف فاستعرا

***

سبحان من علم الانسان من قدم … وبث فى الكون من آياته عبرا
فى الارض آياته للموقنين هدى … وفى السماء براهين لمن نظرا
أخلق بمن يجتليها ان تعرفه … بالله لو انه فى صنعه فكرا
فاعجب لجهل على علم يتيه به … من راح ينكره جحدا وما اعتبرا
كم طاف بالارض والآفاق مخترقا … اطباقها بسفين يخطف البصرا
وطار فى ملكوت الله مقتحما … حتى اذا ما استوى فى افقه كفرا
وعاد يسال : اين الله ؟ فى صلف … وقد تخايل اعجابا بما ظفرا
سبحانه جل عن اين وعن جهة … ولست الا هباء طار وانتثرا
هل كنت تغزو الفضاء الا بقدرته … وهل بغير هداه كنت مقتدرا ؟
الله سبحانه ملء الوجود سنا … والله روح بكل الكائنات سرى
فى الليل قد سبحت فى بحر ظلمته … بيض النجوم وقد نضت به الازرا
فى بسمة الفجر يزهى فى غلائله … بيضا ويسكب من خمر الندى سكرا
فى غرة الصبح يجلو من سبائكه … على جبين الضحى فى راده غررا
فى الروض طاف به روح الربيع وقد … مست انامله مغناه فازدهرا
فى الزهر وشاه منظوما ومنتثرا … وفى العبير اذا ما ضاع وانتشرا
بث الحياة فامسي طيره غردا … على الغصون ، وامسي غصنه وترا

في رقة النسمة العذراء عابرة ... قد عطرتها ازاهير الربى سحرا
فى غضبة البحر ، فى عصف الرياح ، وفى ... قصف الرعود ، وفى البرق الذى سفرا
فى مسبح النجم ، فى الافلاك دائرة ... فى الشهب ، فى الفلك المشحون حين جرى
فى النفس ، والنفس دنيا من عجائبه ... فى الخلق ابدعه سبحانه وبرا
فى عبرة الدهر ، فى المظلوم انصفه ... وحطم الظالم المغرور فانكسرا
فى انه البائس المكسور خاطره ... اذا استجار به فى كسره جبرا
فى الخطب يحمل فى اطواء محنته ... لطفا تخفى وراء الخطب واستترا
وفى الجمال يجليه لنا فتنا ... وفى الطبيعة يجلوها لنا صورا
فى كل شيء تجلى الله مقتدرا ... وفى مظاهر هذا الكون قد ظهرا

***

انا لنبنى على الايمان نهضتنا ... ونستضيء به ان ليلنا اعتكرا
فى امة وثقت بالله فى عمل ... اجدى وعلم رشيد حقق الوطرا
دكت به الظلم فانهارت قواعده ... واستصرخته على العدوان فاندحرا
وحققت ببناء السد معجزة ... واى عزم يصد السيل ان هدرا ؟
مجرى الحوادث من بالعزم حوله ... لخير امته قد حول النهرا
يفرى الخطوب فلا تعييه طارقة ... حتى لاحسبه قد حالف القدرا
فتى من الشعب لا يالوه تضحية ... ولا يمل على آماله سهرا
يحس شكواه آلاما تؤرقه ... حتى يخلصه من ظالم فجرا
وما استطال بجاه الحكم فى يده ... يوما ولا تاه اعجابا ولا اشرا
هل كان الا على الايمان معتمدا ... او كان الا لعون الله منتظرا
الروح فى كل جيش سر قوته ... ولن تراه بغير الروح منتصرا
ولا يفل شبا الايمان منصلت ... وكم يفل شباه الصارم الذكرا
والروح فى الشرق سر من ودائعه ... لولاه ذاب على الايام واندثرا

***

شبيبة العرب حيا الله وثبتكم ... وزادكم فى الكفاح الحر مصطبرا
شدوا العزائم بالايمان تقو به ... فلن تروا مثله ازرا ولا وزرا
والدين كوثره يشفى الغليل ، ولن ... تروا كمنهله وردا ولا صدرا
خذوا من العلم وابنوا كل صالحة ... وواكبوا ركبه لكن خذوا الحذرا
نور من الله يعمى عن هدايته ... قوم احالوه من الحادهم سقرا
لا تستهينوا بما شبوه من شرر ... قد تاكل النار من يستصغر الشررا
ردوا الى مستقيم الدين جامحه ... ان انتمو لم تردوا جمحه عثرا
وامضوا على الدرب للآمال واتحدوا ... صفا قويا وذودوا الشوك والابرا
ان العروبة لم يبعد بغايتها ... فيما مضى غير خلف بينها شجرا
واسترجعوا لفلسطين عروبتها ... واخرجوا من ثراها الذئب والنمرا
وطهروا نهرها من سم عقربة ... وانفوا عن المورد المكروب والكدرا

***

يا من زرعتم بارض المجد غرسكمو ... دنت قطوف الامانى فاجتنوا الثمرا
واجنوا جنى ثورة فى الشرق قد بذرت ... روح الكرامة حتى اطلعت شجرا
سيروا على هديها المامون واعتصموا ... بعروة الصبر ، فالعقبى لمن صبرا

حسن جاد حسن

ارهاصات بين يدى الهجرة

بقلم : عبد الكريم الخطيب

من سمات الحق أنه اذا لبس معنى من المعانى ، أو تلاقى مع خطة من الخطط أو عمل من الاعمال — أضفى الخلود على هذا المعنى الذى لبسه ، وأفاض الحياة والخلود معـــا على ما تلاقى معه من خطة أو عمل !

وفى سجل التاريخ شاهد قائم يشهد لهذا القول .. فهناك أعداد لا حصر لها من صحف التاريخ التى تضم سطورها ما تضم من معان ، وخطط ، وأعمال، قد دفنت من أول يومها ، فلا يمر بها الناس الا كما يمر الأحياء بجثث أبلاها البلى ، وعفى عليها الزمن .. على حين أن هناك صحفا لا تزال على تطاول الزمن شواهد ، ومعالم للنـــاس ، يأخذون عنهـــا المعنى الكريم ، والخطة المثلى ، والعمل النافع الصالح .. وليس بين هذه وتلك الا ما بين الحق والباطل .. فحيث كان الحق ، فالنماء ، والخير ، والخلود ، وحيث كان البـــــاطل فالضـــمور ، والخسران ، والضياع !

والهجرة النبوية معنى من معانى الحق ، وخطة من خططه ، وعمل من أعماله .. فهى لهذا فى حياة مجددة أبدا ، يستهدى بها الناس كمـــا يستهدون بالاشارات المضيئة ، والمعـــالم المنصوبة فى مسالك الحياة ومساربها !

ودع كل ما يحف بالهجرة من جـــلال النبوة ، وانظر اليها هى فى ذاتها من حيث انهـــا معنى ، وخطة ، وعمل .. فهل تجد لهذا المعنى شبيها فى الدلالة على وثاقة الايمان بالحق ، والاستماتة فى سبيل الدفاع عنه ، والاستخفاف بالمكاره والمكايد من أجله ؟ وهل تجد لهذا المعنى شرحا أبلغ وأوفى مما أفصحت عنه وقفة النبى الكريم وصحبه فى وجه هذا البلاء الذى كانت تصبه قريش صبا عليه وعلى من معه ؟ ثم انظر مرة أخرى .. فلقد يكون المعنى كريما نبيلا ، ولكن قد تقوم من ورائه خطة لا تبلغ مستواه من النبل والكرم ، فلا تكون صالحة لصحبته فى كل زمان وكل مكان .. فقد كانت خطة «غاندى» — مثلا — فى مقاومة الظلم الانجليزى خطة قائمة على معنى نبيل كريم ، يفيض من ينابيع الحق والعدل ، وهو الصمود المستميت فى وجه الظلم والاستبداد.

وقد كانت الخطة المنفذة لهذا المعنى ، والمترجمة عنه هى المقـــاومة السلبية ، ومقـــاطعة السلــع الانجليزية .. وقد نجحت هذه الخطة فى الهند .. ومع الانجليز .. ولكنها لا تنجح فى كل حال ، حين لا يكون العمل التجارى فيها هو أساس الصراع بين الحق والباطل .. وأما الخطة التى قامت على المعنى الاسلامى ، وأعنى بهـــا الهجرة ، فهى الخطة التى لا تخلف وعدها أبدا بالنصر المأمول من ورائهـــا ، فى جميع الازمنة والامكنة .. فالفرار من وجه الظلم بالمذاهب ، والآراء ، والمعتقدات هو الخطة المثلى التى تضمن بقاء شعلة الحق فيها محتفظة بوجودها ، الى أن يجتمع عليها — فى موطنها الجديد — أنصـــار وأتباع ، ينصرونها ، وينشرونها .. ولو أنها ظلت حيث هى فى مهـــاب العواصف والزوابع فلربمـــا انطفأت شعلتها وتحولت الى رماد تذروه الرياح ، ثم لا يرى لها بعد ذلك وجه أبد الدهر .

وللفرار هنا معنى ليس منه الخوف من التلف ، أو الضيق بالمكاره ، ولكنه ضن بالعقيدة أن يفتن فيها ، وحرص على الرأى أن يلفت عنه ! ومن هنا كان هذا الفرار خطة من خطط الحق ، وأسلوبا من أساليبه فى الاعداد لمصارعة الباطل وصرعه !

ثم انظر الى الهجرة النبوية نظرا مباشرا تجد انها لم تكن وليدة يومها الذى خرج فيه الرسول الكريم مهاجرا ، مع صاحبه أبى بكر .. ولكنها كانت نتاج أحداث مزلزلة ، ووليدة صراع عنيف مرير متصل ، ومن هنـــا كان تعلق قلوب المسلمين بهـــا ، ومد أبصارهم اليها ، وان بعدت مسافات الزمن بينهم وبينها .. ولعل هذا التدبير الحكيم الذى كان من عمر بن الخطاب حين اتخـــذ الهجرة مبدأ لتاريخ الاسلام — لعل هذا كان عن فيض هذا الاحساس المسعد ، الذى كان يعيش فيه المسلمون يومذاك مع الهجرة وما فتح الله به على المسلمين بعدها من رحمة، ورضى ورضوان !

الا ما أهنأ العافية بعد العلة ، وما أجمل الرخاء بعد الشدة ، وما أضوأ النـــور بعد الظلام ! فهذه المعانى وأمثالها لا يجدها الناس على الكمال والتمام، ولا يرونها فى أروع مطالعها ، وأفتن وجوهها وأحلى مذاقاتها الا حين تلقاهم بعد أن يمتحنوا بالمكاره ، ويبتلوا بالمحن والشـدائد .

ان الصراع هو النظـام الممسك بالوجود كله ،

ومن خلال هذا الصراع تتخلق المخلوقات، وتتشكل، وتتميز .

والانسان ـ فيما نرى ـ لم يكن سيد هذا الكوكب الارضى الا لانه يحمل فى كيانه أكبر رصيد من الصراع فى كيان اى كائن آخر .. ولعلنا نلمح هذا المعنى فى قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » ذلك أنه ما التقى الانسان بالحياة الا بعد أن قطع مراحل طويلة من الصراع العنيف الذى لم يكن لكائن آخر غيره ..

ان الجهد المبذول فى اى شىء يكافىء الوجود الذاتى لهذا الشىء .. او بمعنى آخر : الوجود الذاتى لأى شىء هو ثمرة الصراع الذى اشترك فى تكوينه وتشكيله .. وبالتالى : فان منزلة أى كائن ـ فى وجودنا الارضى على الاقل ـ تتحدد بالجهد الذى اثمر هذا الكائن ، وبالصراع الذى دفع به الى الوجود !

وفى الهجرة النبوية شىء أشبه بهذا ، أو لعل الأصح أن نقول : ان فى هذا شيئا أشبه بما فى الهجرة !

فما اذن الله لنبيه بالهجرة الا بعد ثلاث عشرة سنة من مبدأ الدعوى الاسلامية .. وقد كانت تلك الفترة ـ ومن قبلها حياة الرسول كلها قبل البعثة ـ صراعا عنيفا متصلا ، وعرقا متصببا ، وجهدا مضنيا فى مواجهة انحرافات المجتمع وضلالاته ، وفى مجابهة كنوده وعناده ، وفى مكابدة مكايده ومكارهه .. وما ذلك كله الا لينضج فى بوتقته هذا الحدث العظيم ، ولتستقبل منه الدنيا هذا الوجه المشرق الوضىء ، المصفى من كل كدر ووضر !

وننظر فنجد أن هذا الصراع الذى كان قبل الهجرة انما كان اعدادا لهذا الحدث العظيم ، وتهيئة لنفس النبى الكريم أن تتقبل هذا الانفصال عن الاهل والبلد من غير أن تتمزق نفسه ، أو تهلك أسى وحسرة .. ذلك أنه وهو النبى ، هو ايضا ذلك الانسان العربى الذى يرتبط بقومه ارتباط الغصن بشجرته ، ويمسك بموطنه امساك الشجرة بمنبتها من الارض !

واذ كان الامر كذلك فانه لا بد من تدبير حكيم لتهيئة الجو المناسب لهذه النقلة التى تقطع المرء عن أهله ووطنه ، والتى من شأنها أن تذهب بعلائق الرحم ، ووشائج القربى والمودة بين الرسول وقومه وبلده .

ولقد تولى اللطيف الخبير هذا التدبير الحكيم الذى جرت فيه الاحداث الممهدة للهجرة فى ترفق وتمهل ، وفى غير مباغتة أو مباعدة لمألوف الحياة ، وسير الامور فيها .. حتى اذا انتهت الاحداث الى غاياتها ظهرت نتائجها ، وفيها لمسات الصراع الانسانى ، وعليها بصمات عرقه وجهده !

فمنذ الايام الاولى للدعوة الاسلامية تلقى الرسول الكريم من ربه سبحانه وتعالى هذا الوحى السماوى « يأيها المدثر قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر » !

ويصدع الرسول بامر ربه ، ويتادى اليه من هذا الامر الكريم حديث خافت عن الهجرة التى ستتمخض عنها الايام بعد ثلاث عشرة سنة ! حيث يرى الرسول فى قوله تعالى : « والرجز فاهجر » انه مطلوب منه أن يهجر الدنس والرجس ، وأن يهاجر بعيدا عن أهل الدنس والرجس !

ثم لا تمضى أيام كثيرة حتى تشتبك الدعوة ودعاتها فى صراع عنيف ملتهب مع أهل مكة .. عشيرة الرسول وأهله الأدنين .. ويستقبل الرسول الكريم والنفر القليل ممن استجابوا له ـ الوانا من الاذى ، وصنوفا من الاعنات والكيد ، وحينئذ وبعد أن طف الكيل ـ يشير الرسول على صحابته أن يفروا بدينهم خوف أن يفتنوا فيه ، الى حيث لاتنالهم يد قريش .. وتتجه أنظار المسلمين الى الحبشة ، فيهاجر من قدر على الهجرة منهم . فكانت عدتهم أول الامر أربعة عشر مهاجرا بين رجل وامرأة .. ثم كانت هجرة ثانية الى الحبشة أيضا بلغت عدة المهاجرين فيها أكثر من ثمانين مهاجرا بين رجال ونساء وأطفال !

أما الرسول الكريم فقد وقف صامدا فى ميدان المعركة ، وفى مجال الصراع ، الى أن يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده !

ولا شك أن هذه الهجرات كانت تشير من بعيد الى الطريق الذى سيسلكه النبى يوما اذا جاوز الامر مداه ، وبلغ الكتاب أجله ، ولم ترعو قريش عن غيها ، ولم تستفق من ضلالها !

ثم تتتابع الاحداث ، ويحمى وطيس المعركة بين الايمان والكفر ، تلك المعركة التى لاتزال محصورة فى مكة وما حولها ، بين النبى وعشيرته ، والتى تنقسم قريش فيها على نفسها ، وتتآمر على بنى هاشم ـ رهط النبى الأدنين ـ وتفرض عليهم مقاطعة ظالمة ، وتقيم حولهم حصارا محكما ، فلا يتصل بهم احد ، ولا يتصلون هم بأحد !

ويستيئس النبي من أن ينتفع أهل مكة بهذا الخير الذي يدعوهم اليه ، وأن يهتدوا بهذا النور الذي يحمله بين يديه ، فيمد بصره الى بلد قريب من هذا البلد ‥ هو « الطائف » ‥ فيخرج اليه النبي حاملا هذا الخير وهذا النور ، فيجد من ثقيف عنادا، واستخفافا ، واستغلاقا عن تقبل الخير أكثر مما وجد في قريش ، وعندئذ يعود أدراجه وقد دميت قدماه مما رماه به ولدان ثقيف ورعاعها من أحجار ، الى ما أسمعوه من هجر القول وفحشه :

وفي طريق العودة الى مكة يتلبث الرسول على رؤوس الطرق مرددا النظر الى أكثر من اتجاه يعدل به عن ركوب الطريق الى مكة ‥ ولكن حرصه على هداية أهله ، واشفاقه عليهم من أن يحرموا هذا الخير المنزل من السماء ، يقيم قدميه على طريق مكة ، واذا هو ميمم شطرها في خطى وئيدة متثاقلة ، تساق سوقا الى المكايد والمكاره ٠

وفي بعض الطريق ، وعند موضع يقال له «نخلة» يبيت الرسول ومعه مولاه «زيد بن حارثة» يعالج همًا حاضرا ليستقبل هموما راصدة متربصة ‥

وفي سكون الليل ووحشته يرسل الرسول من صدره كلمات تتردد على فمه من آيات الله فتهتزلها من حوله جنبات الوادي ، وتتداعى عليه جباله وهضابه ، واذا الوجود كله مجتمع عليه ، متخاشع بين يديه ، يردد معه في جلال هادر هذا النشيد العلوي في نغم متساوق متدفق يملأ ما بين الارض والسماء !

ويبيت الرسول ليله مع القرآن مرتلا ، ويبيت الوجود من حوله مصغيا اليه ، مأنوسا به‥ وتشرق الشمس مع الروح الامين ، يحمل الى الرسول الكريم خبر السماء بقول الحق سبحانه : « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا : ياقومنا ‥ انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق ، والى طريق مستقيم ، ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب اليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الارض ، وليس له من دونه أولياء » ٠

وهنا يصحو الرسول صحوة مشرقة ، فتتقشع عن نفسه غيومها ، ويذهب يأسها بهذا الخبر المسعد العجيب ‥ فهذه الجن التي يضرب بها المثل في تلوكه من أخبار الهجرة الى ثقيف لتملأ ماضيها الذي بين يديه ، واستجابت له ، وخشعت لجلاله ، وآمنت به ، ثم لا يقف بها الامر عند هذا الحد ، بل تتحول الى دعاة تحمل هذه الدعوة مبشرة منذرة بها في أقوامها ‥

واذن فصاحب هذا النور أولى بان يكون المبشر المنذر به في قومه ، فان قريشا مهما يلج بها العناد، ويستبد بها الكبر ، ويتغشاها الضلال لن تكون دون الجن استعدادا للتجاوب معه ، والاجتماع عليه ، والايمان به ‥ ان لم يكن اليوم فغدا ، أو بعد غد !

وهنا يجد الرسول نفسه وقد امتلأت نشاطا وعزما ، فيتجه الى مكة ، ويدخلها مأنوسا بهذا الزاد الطيب العتيد ، مستبشرا بهذا الهدى الذي معه ، والذي يستولى بجلاله وسلطانه على أعتى العتاة ، واطغى الطغاة ‥ ولو كان من الجن !

لقد كانت رحلة الرسول الى ثقيف هجرة انتقل بها مطلع النور من مكة عدة ليال ، ولكن سرعان ما عاد اليها ، ليطلع من مطالعه فيها مرة أخرى ‥ فهل تحرص عليه قريش هذه المرة ، ولا تدعه يزايل آفاقها ؟ ولكن قريشا تستقبل رسول الله هازئة ساخرة ، تردد في مجالسها حديث هذه الهجرة الى ثقيف ، وما لقى الرسول فيها ‥ في شماتة ورضى!

وفي زحمة هذا اللغط الذي تعيش فيه قريش أيامها ولياليها متفكهة متندرة بما أصاب الرسول من ثقيف تعد السماء هجرة روحية للرسول الكريم ، فتحمله على أجنحة النور الى بيت المقدس ، ثم تصعد به من هناك الى عالم الحق فتطوف به ما شاء الله أن تطوف وتريه من آيات ربه الكبرى ما شاء الله أن يرى من ملكوت السموات العلى : « عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة مايغشى ، مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ٠ » ‥ انها رحلة لم تقتطع من عمر الزمن غير لحظات ، لم يفتقد فيها أحد شخص النبي لحظة واحدة !

وما أن يعود رسول الله من هذه الرحلة حتى تبعث اليه السماء بصورة صوتية ناطقة ، تسجل أحداثها ، وتحدث في الناس بها ‥ « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » ‥ وتبتلع قريش ما كانت الالتواء والعناد والافساد قد أقبلت على هذا النور بهذا الحدث الجديد ‥

عبد الكريم الخطيب

جولة في تاريخ الأزهر وتطوره

بقلم: محمد عبد الله السمان

لا يختلف اثنان في أن للأزهر تاريخا مشرقا ، وماضيا حافلا بما أسدى الى العالم الاسلامي من أياد في مجال **الفكر** الاسلامي خلال ألف عام ، وبما أسداه الى مصر نفسها من مواقف بطولية في معاركها الوطنية ضد طغيان المحتل الأجنبي أو استبداد الحكم المحلي .

واذا كان تاريخ الاسلام وتاريخ العروبة قد افسحا للأزهر مكانا مرموقا في أبرز صفحاتهما ، **واذا** كان العالمان: الاسلامي والعربي ليسا في حاجة الى التعريف بالأزهر ومكانته ، وله في كل رقعة من رقاع العالم الاسلامي رحم، وفي كل أرض من أراضي العروبة نسب ، **الا** أن الأزهر في هذا العصر الذي نعيش فيه أحوج ما يكون الى أن يؤرخ له من جديد ، لاباعتباره ـ فحسب معهدا عتيقا أرسل اشعاعات الفكر الاسلامي على العالم عبر عشرة قرون . **ولا** باعتباره ركنا من أركان الوطنية الصادقة ، طالما قاد الثورات ، وأذكى لهيبها ، وقدم لها الكثير من خيرة طلابه وعلمائه ، فكانوا وقودا لهذه الثورات ، **ولكن** باعتباره اليوم من أبرز المعالم الاسلامية الكبرى ، ترنو اليه أنظار أربعمائة مليون مسلم أو يزيدون ، وتستجيب له احساساتهم ومشاعرهم .

أقول: ان الازهر اليوم أحوج مايكون الى أن يؤرخ له من جديد . وهانحن أولاء ـ نلمس ظاهرة عجيبة ونغمة جديدة ، للنيل من الاسلام ممثلا في عالم الدين ـ أو رجل الدين كما يحلو للبعض أن يطلق هذا اللقب على عالم الدين ، **وهذه** الظاهرة العجيبة والنغمة الجديدة، ملموستان بشكل يثير الدهشة في الأعمال المسرحية الجديدة ، والتي تكتبها أقلام بمداد هو مزيج من الصفرة والحمرة معا ، وكأن هذه الأقلام حين أيقنت الفشل في ايجاد موضوع لما تكتب ، أرادت أن توارى فشلها في ـ رجل الدين ـ على حد تعبيرها ، تضعه موضع الازدراء والسخرية لتثير ضحكات الجمهور المتعطش الى الضحك .. وكفى .

***

هذه مجرد خواطر جالت بنفسي وأنا أقرأ كتابا ضخما أصدره الأزهر أخيرا في أكثر من ستمائة صفحة عن « الأزهر تاريخه وتطوره » وكتب له **الدكتور محمد البهي** وزير الأوقاف وشئون الأزهر السابق ، مقدمة على جانب من الأهمية في بضع عشرة صفحة ، وبذل فيه الأستاذ **علي عبد العظيم والسيد أبو النجا** مجهودات طيبة ، حيث صنفاه وقاما بمراجعة جميع فصوله وتنظيمها وتنسيقها واعداد الصور واللوحات الفنية والاحصاءات الرسمية .

الكتاب خمسة أبواب واسعة هي : الأطوار التاريخية ، الأزهر عمارة وفنا ، التربية والتعليم ، المؤسسات الثقافية ، في عهد الثورة .

عرض الباب الأول الماما تاريخية بنشأة الدولة الفاطمية ، ودعوتها بالأزهر ، وأشهر الفقهاء والأدباء في العصر الفاطمي ، أمثال : **أبي حاتم الرازي** في الري ، **والنسفي** ببخاري ، **والسجستاني** الذي كان اليد اليمنى للنسفي ، ثم **أبي حنيفة النعمان المغربي**، وهو غير أبي حنيفة صاحب المذهب المشهور ، ثم **جعفر بن منصور اليمني** ، ومن أشهر فلاسفتهم **الشيرازي** المعروف بالمؤيد .

وفي هذا الباب أيضا ، يعرض الكتاب وضع الأزهر بعد أن ظل يتمتع برعاية الخلفاء الفاطميين ، حتى تقلد صلاح الدين الأيوبي الوزارة في عهد الخليفة العاضد فقضى على مذهب الفاطميين الشيعي ، ومهد للمذهب السني والحكم العباسي من جديد، وجاء عصر الأتراك العثمانيين في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وأصاب الأزهر ما أصاب المدينة الاسلامية من ركود وتدهور وانحلال «وان استطاع أن يستبقي شيئا من أهميته ، وظل يسدى الى اللغة العربية وعلوم الدين أجل الخدمات وأصبح ولاة العثمانيين يقيمون الصلاة فيه » .

وفي هذا الباب يعرض الكتاب موقف الأزهر في العصر الحديث ، من الحملة الفرنسية حيث قام بدور كبير في اذكاء الحركة القومية ، وتولى شيوخه وطلابه قيادة المقاومة الشعبية وتنظيمها ، مما حمل جيش الاحتلال الفرنسي على احتلال الأزهر وانتهاك حرمته واعدام عدد من شيوخه وطلابه الى أن انتهى الأمر باغلاقه ، وواصل الأزهر دوره حين فرض على السلطان العثماني الموافقة على تعيين محمد علي واليا على مصر ، وكان عالمان من أبرز علمائه هما اللذان ألبسا محمد علي في بيت القاضي خلعة الولاية عام ١٨٠٥ ، انهما **السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي** .

ولقد سلطت في هذا الباب أضواء كثيرة على زعماء

الحركة الوطنية من ابناء الأزهر من أمثال **الشرقاوى، وعمر مكرم ، وعرابى وسعد زغلول** ، وعلى زعماء النهضة الفكرية من أمثال : **عبد الله النديم ورفاعه الطهطاوى وعلى يوسف ومحمد عبده** •

أما الباب الثانى ، فقد تناول الازهر عمارة وبناء والمعروف أن **جامع عمرو بن العاص** كان أول مسجد انشىء بديار مصر عام ٢١ هـ وعرف بتاج الجوامع ، وكانت تسوده البساطة ، وان **جامع العسكر** ثانى مسجد أنشىء بمدينة العسكر ، انشاه **الفضل ابن صالح** والى مصر من قبل الخليفة العباسى المهدى عام ١٦٩هـ وكان متأثرا بأساليب العمارة العباسية، ثم انشا أحمد بن طولون مسجده عام ٢٦٥ هجرية بمدينة القطائع، وكان متأثرا بالعمارة العراقية. ثم كان **جامع الأزهر** أول مسجد انشىء بمدينة القاهرة ورابع جامع أنشىء للجمعة والجماعة بمصر ،انشاه **جوهر الصقلى** واقيمت اول جمعة فيه فى ٧ رمضان عام ٣٦١ هـ • وعنى باصلاحه الخلفاء الفاطميون ، وقدر بعد ذلك أن يأفل نجم الأزهر فى عهد الأيوبيين الى أن جاء عهد المماليك البحرية فقدر له أن ينهض من جديد على يد **الظاهر بيبرس** •

اما الباب الثالث ، فقد خص بالأزهر فى ميدان التربية والتعليم ، عرض للحركات العلمية بالعالم الاسلامى ومصر قبل الأزهر، وللأزهر كمسجد جامع، وكجامعة ، وللدراسة به عبر العصور فى عهود الفاطميين ، والأيوبيين ، والمماليك ، والعثمانيين ، وفى عهد أسرة محمد على ، ثم فى الفترة الأخيرة حتى عام ١٩٥٢ م فى عهد الثورة • كما عرض لنظام الحلقة ، ولمراحل الاصلاح من الحلقة الى المدرج ، ولمحاولات الاصلاح ، والممثلة فى جهود الشيخ **محمد عبده** والشيخ **الظواهرى** والشيخ **المراغى** ، وكذلك عرض للكتب الدراسية بالأزهر ، وبعثات الأزهر الى جامعات أوربا ، والأزهر فى مجال الوعظ والارشاد، ثم ترجم لنماذج من نابهى الأزهر **كابن الهيثم والقفاعى ، والدرديرى ، والشاطبى والبغدادى والشعرانى** •

والباب الرابع : عرض شامل للمؤسسات الثقافية، المكتبةالاسلامية ، والمكتبة الازهرية الحديثةوفنونها، والمكتبات الخاصة التى ضمت اليها ، ثم مجلة الازهر وتطوراتها ، وادارة الوعظ والارشاد •

أما الباب الخامس والاخير ، فقد تناول الازهر فى عهد الثورة،عرض للثورة الاصلاحية ووفائها للازهر، ولدراسة مقارنة بين قانونى عام ٩٣٦ وعام ٩٦١ ، فالاول ضيق فى تحديد الغرض من الازهر وحصره فى غرضين : القيام على حفظ الشريعة واللغةالعربية، وتخريج علماء يوكل اليهم تعليم علوم الدين واللغة فى مختلف المعاهد والمدارس ، والآخر يعيش بالازهر فى معترك الحياة ، كما عرض للمنشآت الجديدة فى عهد الثورة : المجلس الأعلى للازهر ، مجمع البحوث الاسلامية ، ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية ، ولكليات جامعة الازهر الجديدة ، ولمدينة البعوث الاسلامية ، وختم الباب الاخير بسجلات احصائية عن المبعوثين من الازهر والوافدين اليه ، ومحاضرات الموسم الثقافى بالقاعة الازهرية ، ثم عن الكليات والمعاهدالاسلامية بالخارج ، التى تراسلها مجموعات المراقبة العامة للبحوث الاسلامية •

وبعد ــ فالكتب التى الفت الى اليوم عن الازهر قليلة لا تكاد تذكر ، وهى على قلتها كانت متواضعة للغاية فى صفحاتها وفى مادتها ، ولا أحسب هذا الكتاب الذى أصدره الازهر عن نفسه الا جهدا متواضعا أيضا ، ولكنه على كل حال سد فراغا •

بقى أن نقول : **ان هذا** الكتاب صدر بمناسبة مرور الف عام على انشاء الازهر ، واذاكان كل مافكر فيه الازهر للاحتفال بعيده الألفى هو اصدار كتاب كهذا ، فلا ريب فى أن مثل هذا قليل جدا بالنسبة لمكانة الازهر وعيده الألفى ، الازهر الذى كان ملاذ العروبة والاسلام كلما اصابهما خطب ، والذى فتح ــ ولم يزل ــ أبوابه لشباب المسلمين من كل بقاع العالم،ليتلقوا بين جدرانه العلم والمعرفة ، ثم يعودوا الى بلادهم دعاة للاسلام ، واشعاعات تنير الاذهان وتوجه العقول •

ان تاريخ الازهر لم يكتب بعد ، وتاريخ الازهر ليس جزءا من تاريخ مصر وحدها ، بل من تاريخ العروبة والاسلام ، ويوم أن توجد الاقلام النزيهة التى تقوى على أن تسجل للازهر ماله وما عليه،سواء فى ماضيه أم فى حاضره ، غير عابئة بهوى السياسة ولا بشهوات النفوس الضعيفة ، سيكتب تاريخ الازهر فى اطار من الدقة فى تحرى الحقائق التاريخية •

محمد عبد الله السمان

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

هل كان على العقاد أن يوزع عبقريته !



لم يكن الاستاذ عبد الرحمن الخميسي ممن جرأوا على مناقشة الاستاذ العقاد فى حياته ومنازلته فى ميدان الفكر ، على رغم الاختلاف فى الاتجاه ووجهات النظر ، وعلى خلاف غيره — اعنى خلاف عبد الرحمن الخميسي — من ادباء الجيل وكتابه الذين اختلفوا مع الاستاذ العقاد فجادلوه فى شدة وعنف او هوادة ولين .

واخيرا ، **وبعد وفاة العقاد** ، برز عبد الرحمن الخميسي فى الميدان كانه ينادى هل من مبارز ! وقد راح المبارز وخلا منه الميدان وامن المنادى ..

وذلك ايضا على خلاف ادباء الجيل وكتابه المختلفين مع العقاد ، الذين نازلوه فى حياته ، فلما اسلم الروح اسلموا اسلحتهم **واستبدلوا بها الكلمات** الطيبة التى يقولها المنصف فى خصمه والتى تليق بالمقام بعيد وفاته .



ولعله كان من المستحسن ان يقول الاخ عبد الرحمن الخميسي للعقاد وهو حى هذا الذى يقوله الآن بعد وفاته ..

كان ينبغى ان يقول له : **انك من الصفوة الممتازة والقلة التى حققت ذاتها بعمل ابدعت فيه واظهرت موهبتها فى الابداع وبلغت ما بلغت من المستوى المادى .. والادبى ، عن طريق « العصامية الفردية المزدهرة فى ظل المنافسة الحرة وبقاء الاصلح والانتخاب الطبيعى ، و غير ذلك من المبادىء التى يبرر بها الاستعمار نظامه واستمراره ، والتى تتناقض مع النظام الاشتراكى الانسانى القائم على اساس التعاون ومراعاة مصلحة المجموع ... »** الى آخر ما يقوله الآن ..

كان ينبغى ان يقول ذلك له وهو حى عساه يرجع عن تلك المبادىء الاستعمارية المناقضة للاشتراكية ، وينزل عن مستواه الفكرى المتميز ، ويوزع موهبته على اكبر عدد من الناس حتى يكون اشتراكيا انسانيا متعاونا مع المجموع .. الم يوزع تولستوى املاكه على الفلاحين الفقراء ! كان على العقاد ان يوزع املاكه ، فياخذ كل فقير كتابا من كتبه التى لا يملك غيرها .. وحقا ان تولستوى وزع ماله فقط ولم يوزع عبقريته ، **ولكن الحياة تطورت بعد تولستوى واصبح مفهوم الاشتراكية الآن غير مفهومها**

فى زمنه .... ان الاشتراكى الحقيقى الآن يجب ان يوزع عبقريته ، لان كثيرا من الناس محتاجون اليها ، وتجميد العبقرية فى شخص واحد او قلة من الناس يعد من الراسمالية الصارخة ..

وكان يجب على العقاد الا يسلك سبيل « المنافسة الحرة » التى اسفرت عن هذه النتيجة الظالمة ؛ وهى **تكدس الفكر فى دماغه.. والكتب فى مكتبته.. وحدوث مجاعة فكرية تهدد الاغلبية الساحقة وتمنعها من خدمة مجتمعها على وجه افضل !**

انى اخشى ان يموت احد علمائنا الذين يصنعون الصواريخ ، فيهاجمه الاخ عبد الرحمن الخميسي ، لانه كان راسماليا .. كنز العلم والمهارة ولم ينفقهما على اكبر عدد من المشتغلين باصلاح (بواجير الجاز) فيرتفع مستواهم ويستريح الناس من كثرة (**التسليك والتوابع**) !

ولست ادرى لماذا لا يطبق الخميسي نظريته الاشتراكية هذه على نفسه .. انه كاتب صحفى وكاتب قصصى وشاعر وملحن ومخرج وممثل ، والصنعة السابقة تاليف التمثيليات .. لماذا (يكوش) على كل هذه « المواهب » .

ويحتكر كل تلك الاصناف .. ؟

الم تنكر ايها الاخ الخميسي على العقاد انه كان « **موسوعة معارف** » ؟ فلماذا تكون انت « **موسوعة صنايع** » ؟

او لم تعب عليه انه سلك سبيل المنافسة الحرة حتى صار من القلة التى تجمع الكثير على حين تحرم الاغلبية الساحقة مما فى ايدى القلة ؟ فلماذا تسلك انت السبيل نفسه وتجمع « **السبع صنايع** » وغيرك محتاج الى صنعة واحدة !!

الحق انى مشفق عليك من نظريتك الاشتراكية الجديدة هذه ... لانى اتصور انك طبقتها على نفسك ، فاحتفظت بالشعر مثلا ، ووزعت بقية ما تزاول على المحتاجين من صغار الكتاب والمخرجين والموسيقيين والممثلين ، ثم رايت انك من الصفوة الممتازة فى الشعر .. **انك عندئذ لا يسعك الا ان** تنزل عن مستواك **الشعرى الراسمالى .. فتعطى** منه المحتاجين **وهم كثيرون ، ولا يبقى لك الا القليل الذى لا يصلح الا لان تكون شعرورا من الشعارير ..**

غـزل القصصيات

تناولت بالتعقيب ــ فى العدد الاسبق من الرسالة كتابات جنسية فى عدد « **مركز !** » من مجلة روز اليوسف **لليلى بعلبكى وجاذبية صدقى واحسان عبد القدوس .**

وقد ركزت جاذبية فى قصتها على **اشتياق بنت فى الخامسة عشرة الى رجل ..** ووجدان بغيتها فى لاعب كرة « **عليه العين ..** » حسب تعبيرها .

وتضمن الحديث الذى نشر لليلى بعلبكى انها او بطلة قصتها ــ السياق مشبه ــ **تفضل ذراع رجل يخرج من بطن الارض على مائة شاعر .. مائة .. وعشاقهم من الجنسين !**

واسرع ــ بغض النظر عن المرمى الشاذ العبارة الاخيرة ــ لاقف عند ظاهرة غريبة فى قصص بعض الكواتب عندنا وفى لبنان . تلك الظاهرة هى فتيات **يتطلعن الى الرجل العريض الاكتاف المفتول العضلات ، ويعبرن عن اشواقهن اليه باعتباره المثال والانموذج اللاتى ينشدنه بين الرجال ..**

وكنا قد فرغنا من محاسبة الشعراء الذين كانوا يتغزلون فى جسد المراة ويصفون تفصيلاته . كان يقال لهم **انكم جسديون شهويون لا تعرفون العاطفة النقية والحب الروحى ، وان المراة ليست متعة للرجل .** بل قيل اكثر من هذا : **ان جمال المراة يتمثل فى شخصيتها وثقافتها وروحها اكثر مما يتجسد فى اعضائها .**

وارتقى الشعراء ، وصار من العيب ــ فنيا وذوقيا لا خلقيا فحسب ــ ان يتغزل الشاعر فى جسد المراة .

والآن.. لا ادرى ماذا اقول لكاتباتنا القصصيات :

لا ، لن اقول لهن شيئا ...

أشكوه

● **اللجنة** المؤلفة فى المجلس الاعلى لفحص مجموعات القصص القصيرة المقدمة لنيل الجائزة التشجيعية — تعمل الآن لانجاز عملها . وقد نشر انها ستبعد القصص المكتوبحوارها باللغة العامية واجدر باللجنة ان تراعى الصحة اللغوية نفسها فى القصص الأخرى ، فكثيرا ما نرى قصصا مكتوبة بالفصحى سردا وحوارا ، وهى مع هذا مملوءة بالاخطاء اللغوية .

وينبغى كذلك مراعاة الصحة الفنية والاجتماعية والوفاء بالتعبير عن قيم المجتمع الاشتراكى ، ولا ينبغى ان يكون ما تلجىء اليه الضرورة الفنية احيانا من الحوار العامى عقبة فى تقدير الانتاج الجيد .

● **توفى** ببيروت الشاعر العربى الاستاذ **محمد على الحومانى** ، والفقيد من ادباء العروبة الذين نشرت لهم الرسالة كثيرا من القصائد والمقالات فى عهدها الاول . وله جهود معروفة فى خدمة العرب والفكرة العربية فى بلاد امريكا اللاتينية .

● استمعت الى تسجيل اذاعى فى البرنامج الثانى لاحتفاء محافظة الدقهلية بذكرى وفاة استاذ الجيل **احمد لطفى السيد** ، فسمعت المذيعة تقدمه بوصفه **«مهرجانا»** وقلت : لعل هذه من عندها ! ولكن ترددت كلمة **«المهرجان»** كثيرا فى تقديم المقدم للحفل ..

الا تعجب من المفارقة بين العيد (المهرجان) وذكرى الوفاة !!

● صدرت سلسلة «الالف كتاب» للاستاذ يوسف الشارونى كتاب **«دراسات ادبية»** واهم موضوعاته وابحاثه **«سيكلوجية التعبير الفنى»** و **« لغة الحوار بين العامية والفصحى »** .

وقد بحث الموضوع الاخير باستيفاء بجمع معظم ما كتب فيه . وبصور المشكلة ، واخيرا بعرض ما قدم فيها من حلول .

● **« الليلة الاخيرة »** عنوان المجموعة القصصية الجديدة التى ظهرت للاستاذ **جمال ربيع** . وتمتاز القصص بالتعبير الادبى الجميل والاتجاه الاجتماعى السديد .

● اعلن عن كتاب **« عيسى بن هشام او فترة من الزمن »** لمحمد المويلحى الذى ظهرت طبعة حديثة منه فى **« المكتبة « العربية »** — اعلن عنه هكذا :

« ٢٥ قرشا طبعة عادية — ٣٥ قرشا طبعة فاخرة » .

لم لم يطبع طبعة واحدة متوسطة ؟ لماذا يشعر **من لا يستطيع ان يدفع ثمن الطبعة الفاخرة أن هناك ما لم يستطع الحصول عليه ؟**

وان جازت هذه التفرقة فى غير الثقافة فكيف تجوز فى الثقافة ؟

● اكثر الكتابات الادبية التى تنشر الآن فى الصحف تدور حول المسرحيات .. لا لانه ليس هناك انتاج ادبى آخر ، وانما لان الذين يكتب عنهم عادة دون غيرهم .. يؤلفون الآن مسرحيات !

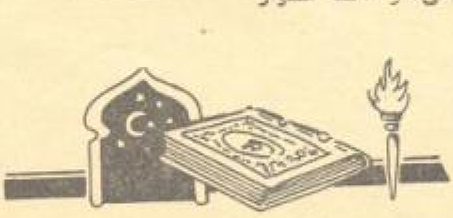
وهناك اعتبار آخر ، وهو **« الفرجة »** و **« الدعوات »** .

● نشرت احدى الصحف الكبيرة — غير مرة — ان الاستاذ يوسف السباعى سيطير الى المانيا لحضور احتفال باحدي جامعاتنا لتابين العقاد ..

والاستاذ يوسف السباعى يؤكد انه **لا يعرف شيئا عن ذلك ..**

اقترح ان يقام حفل **لتابين الثقة بمثل هذه الاخبار الصحفية !**

عباس خضر







وحدة الحضارة المصرية

لا نستطيع ان نقول ان « السد » ايقظ العصر فقط ، ذلك لانا نراه ايقظ كل شيء حتى التاريخ ، وهو فى عملية ايقاظه هذه لا يهز ايدينا لنتحرك يمينا او شمالا ثم تعود لتغط فى نوم عميق ، وانما يوقد فيها شعلة لا تكفى حياة الانسان فقط ، وانما يمكن ان نراها « تورث » من جيل لجيل ومن فكر الى فكر .

فالسد قد « ضاعف » اشياء كثيرة فى حياتنا ، وجعلنا ننظر الى الماضى فى فخر ، والى الحاضر فى ثقته ، والى المستقبل فى عزم ، وفى ضوء هذا لم نعد نرى مصر بجسماتها المحنط ، وعينيها الدهريتين ، وانما اصبحنا نراها صورة للخلود المجسم ، واستاذة من اساتذة الحضارة ، يجب ان يجلس مستقبل كل دولة امامها فيما يجد من ايام .

لقد كانت مصر فى الماضى ينظر اليها عصرا عصرا ، ولقد كان كل عصر يخاصم الآخر ، ويظل فى ريبة منه ، فكأنها بذلك كانت تشبه القصيدة العربية القديمة التى كان فيها كل بيت يخاصم الآخر ، ويقف وحده بصلابة فى وجه البيت الذى يليه .. ولكن مصر الان — بعد السد — اصبحت شيئا كبيرا متشابكا ، يهز الوجدان ، ويعمق النظرة ، ويثرى الحياة .

ويمكن ان نقول ان هذا قد انعكس على الادب المعاصر ، فبعض الادباء يتجنبون فترة بعينها ، وبعضهم قد كتب عما سبقها حين ووجه بقوة اكبر منه ، والبعض الثالث قد وجد نفسه اما ملتصقا بالفترة الاولى او الثانية نفسيا وروحيا ، وفى الوقت نفسه وجدنا من يقصرون انتاجهم ، او اكثر ، على مصر الاسلام ، او على الاسلام بصفة عامة .

ونحن هنا لسنا فى مجال التقييم مثل ما بين كفاح طيبة والراهب ، والعبقريات ، ولكنا ندعو الى عدم الوقوف بوجهة نظر معينة امام عصر من العصور ، ولسنا بهذا نحدد عصرا للكتابة دون آخر ولكنا فقط ندعو الى « كسر الحواجز » بين هذه الفترات ، والى الاحساس بالامتداد الحضارى المصرى فى كل ما توجه اليه سن القلم ، وخفق الفكر ، ورفيف الروح !

ومهما يكن من شيء فقد بدا الادباء يشغلون انفسهم بالكتابة عن « السد » ، وقد قرات فى الايام الاخيرة قصيدة « لاحمد رامى » ، ومن قبل قصيدة « لمحمود حسن اسماعيل » وان كنت اعتقد ان الوسط الادبى قد وقف بعمق عند القطعة الموسيقية التى كتبها « توفيق الحكيم » من ثلاث حركات كانت الاولى بعنوان ابو سمبل او خيوط الفجر ، وكانت الثانية بعنوان اسوان واعادة الروح ، اما الحركة الثالثة فكانت بعنوان تحويل النيل او تحويل التاريخ ولقد كانت الاصداء الاخيرة لهذه الحركة قوله :

« ... انى ارى امامى شيئا اكثر من التحول والانطلاق : التشكل .

انى اكاد ارى فى كتلة هذه الجموع التى يتالف منها شعبنا كيف سيكون شكله غدا ، وذكرنى المنظر بما كنت ابصره على ضفتى النيل ، وانا اتطلع من نافذة الزورق البخارى فى طريقى الى ابو سمبل . التلال وقد كادت تتخذ اشكالا آدمية . صحت دهشة : انها تكاد تشكل نفسها .

الشعوب ايضا فى بعض مراحلها نكاد نبصر فيها باعيننا بوادر التشـــكل ، وهذا ما المحه الان فى الطريق كل يوم واقول : نحن نتشكل ، وانى ارى اليوم بوضوح شكل امتنا غدا ! »

المسرح ومشقاته .

من الندوات الخصبةالتى عقدت اخيرا تلك الندوة التى قدمها فوزى سليمان بجمعية الشبان المسيحية ، والتى ضمت بعض المهتمين بالمسرح ، وقد بدا فوزى سـليمان الندوة بقوله ان المسرح له دور بارز فى الدولة الاشـتراكية ، لانه مدرسة للدفع الثورى ، ثم تساءل هل نحن نعيش الان فى نهضة مسرحية ؟ وهل هذه الظاهرة طارئة ام اصيلة ؟ وهل اصبح حقا للمسرح جزء فى ميزانية البيت » .

وقد ذكر الدكتور رشاد رشدى .. ان المسرح قد سلطت عليه اضواء الدعاية من اكثر من مكان ، ومن الطبيعى ان اية « سلعة » يعلن عنها اعلانا جيدا تحظى بالرواج حتى ولو كانت رديئة ، كما ان غزارة المسارح ليس دليلا على نهضة مسرحية ، فقد تدل على نكسة مسرحية ، ولكنهـا من وجهة نظره تدل الآن فقط على اتساع رقعة النشاط المسرحى .

وحين تعرض لنوع النشاط المسرحى المعروض ذكر ان اكثر ماعرض فى السـنوات الاخيرة « غير مسرحى » فى اسـاسـه ، وان الجـو لم يهيأ الان لظهور المؤلف المسرحى الجيد ، وفى ضوء هذا يرى ان « توفيق الحكيم » لجا الى المسرح الذهنى لانه لم يجد الجو المسرحى الملائم لظهور « مسرح جاد »

فالممثل الآن تنقصه الثقافة ، والمخرج مع انه اكثر الجميع « حضورا » يجد نفسه يعمـل فيما يشبه الفراغ . ثم تسـاءل الى متى نهمل الدراسـات المسرحية فى الوقت الذى نرى فيه بالخارج متقدمة على الدراسات الجامعية ، وان هـذا النوع من الدراسات لايسـمح به الا بعد الحصـول على البكالوريوس او الليسانس .

ثم ذكر ان مسرح الجيب ليس منه خطر الى الان بل انه احدث ذبذبات ، وحرك ركودا ، وفى نهاية حديثه ذكر ان المسرح الان « موضة » ، وانه لايمكن ان نذكر انه فى « نهضة » .

ثم ذكر المخرج كمال عيد .. ان الرواج السائد الان يرجع فى تصـــوره الى ان المسرح قد اخذ « خطا جديدا » لاتصاله بالترجمة ، والنقد ، ووسائل الاعلام ، ومن الصـــعوبات التى تعترض المسرح الآن انه لكل مسرح خطة ، ولكن هذه الخطة ظلت دائما فى مكانهـا على الورق ، وان المؤلف المصرى يستهلك نفسه فى الكتابة السريعة ، فى الوقت الذى نرى فيه الكاتب الاجنبى يكتب مسرحيته فى حوالى عشر سنوات ، وان الممثلين اليـوم فى دورهم الى « الاحتراق »لانهم يقتصرون على ادوارهم ، ولانهم لا يهتمون الا بالكلمة ، فى الوقت الذى يحتـاج فيه الممثل الى التعبير بالوجه ، والى وقفات الصـمت ، والى حركة التناول من الآخرين ، ثم الى الروح الفنية التى يجب ان تلف العمل كله .

ثم ذكر سعد الدين وهبه .. انه لن تكون هناك نهضة ، لان عمر اكثر المسارح لا يتجاوز عامين ، ثم تعرض لتاريخ المسرح فقـال ان المسرح فى اوائل القرن العشرين كان « غير مصرى » ، وانه لم يكن فى نهضة وانما فى « حالة رواج » سببها الازدهار الاقتصادى فى هذه الفترة ، ومن هنا سـقط هذا المسرح بظهور السينما .

فالبداية الحقيقية للمسرح كانت بعد الثورة ، لانه ترتب على ظهورها وضوح الشخصية ، ولا شك ان الشخصية بالاضافة الى الحركة هى « الدراما » .

ثم القى مسـئولية الموقف على المؤلف والمخـرج والممثل ، وذكر ان التفرغ هو الحل لمشكلات المسرح ، وان هذا النظام مأخوذ به فى العـالمين الراسـمالى والاشتراكى ، وانه لايوجـد متفرغ واحد من اجل المسرح .

وما احب ان اذكره للاستاذ سعد الدين وهبه ان هناك من تفرغوا باسم المسرح مثل الاسـاتذة على باكثير ، والفريد فرج ، ويعقوب الشـارونى ، وان اقصى ما منـح للفنانين التعبيريين والتشكيليين هو خمسة وسبعون جنيها ، وانهم يرضون بهذا ، ولكن ايرضى ممثل ، او مخرج مرموق او نصـف مرموق بهذا المبلغ ، فى الوقت الذى يستطيع فيه ان يجمعه فى ايام ؟

ثم ذكر .. ان مسرح الجيب لم يحقق شيئا مما انشيء من اجله ، فهو كما يتصوره « معهد للابحاث المسرحية » ، ولكن مديره طبعه بطابع اللامعقول فاصبح وكأنه انشيء لهذه الغاية فقط ، ثم طالب باعادته الى خطه الطبيعى »

كما قال .. ان المخرجين يحاولون فرض مفاهيم معينة على مسرحنا ، باعتبارها مفاهيم براقة تبهر ، وان النقد المسرحى الان نقد ادبى ، ولا يمت الى النقد المسرحى الا بما يعادل ١ ٪

وقال سعداردش. .. ان التمثيل اصبح عمل من لا عمل له ، وطالب باعتبارنا فى دولة موجهة بالتخطيط للمسرح ، وذكر ان التفرغ فى جوهره ليس الا صورة من صور التأميم ، ثم تعرض لمسرح الجيب فذكر ان خطته تسمح بتقديم لعبة النهاية والكراسى ، وان « ياطالع الشجرة » ليست من اللامعقول ، وان شكلها مستنبت فى بعض اجزائه من اللامعقول ، وانه سيقدم اعمالا اخرى مستنبتة من الادب الشعبى المصرى ، ثم ذكر اننا لسنا فى حاجة فى هذه الفترة الى « التجريب » قدر حاجتنا الى « المظاهر » بمعنى النظر الى المسرح باعتباره مكانا للعبادة الفنية .

اما الدكتور رمزى مصطفى .. فذكر ان المجتمع المسرحى تنقصه الثقافة ، وان المعهد العالى للفنون المسرحية متجمد عند مفاهيم معينة ، وان النص الموجود من الضعف بحيث يعمل المخرج غالبا على تغييره ، وان معمار المسرح يقف امام تنفيذ كثير من النصوص .

وما يمكن ان يذكر عن هذه الندوة ، هو انها كانت ندوة جادة تعرضت بحسم لكافة المشكلات ، ومع ان روح المجاملة تسود اكثر الندوات عندنا الا ان الجمهور كان يلاحظ ان المشتركين فى الندوة كانوا يهاجمون الافكار التى يمثلها بعضهم ، وان هذا البعض كان يعترف فى بعض الاحيان بالتقصير ، وانه سيعدل من خطته ، مما جعل المشاهدين ــ وقد قضوا ما يقارب الخمس ساعات ــ يخرجون وهم غير نادمين على ما قضوا فى هذه الندوة من زمن .

الشعر فى التليفزيون :

لا شك ان الكثيرين قد سعدوا وهم يرون الشعر يدخل عليهم حياتهم ، ويطل على جلساتهم الصغيرة ، وينتزعهم انتزاعا لينتظروا تلك اللحظات التى يذاع عليهم فيها برنامج « صور شعرية » من اخراج ابراهيم عز الدين ، ومجيدة نجم .

ومع ان البرنامج قد بدا بفكرة فى اغسطس عام ١٩٦٣ من السيد : همت مصطفى ، وبحماس من عبد المنعم سلام ، ومع ان هذه الفكرة كان مشكوك فى نجاحها ، الا ان هذا البرنامج سرعان ما دخل بيوت الناس وحياتهم ، الى حد انه حين توقف فترة من الزمن ، انهالت الرسائل بما يشبه الصراخ على المسئولين ، ومع ان المقصود به فى اول الامر كان ان يكون البديل لكلمة « لحظة من فضلك » و «سنواصل الارسال» الا انه سرعان ما انزرع فى نفوس المشاهدين الذين حين طالبوا بتثبيت زمنه ، وجدوا من يقول لهم « بل نحن نتعمد هذا لتضمن ترقب المشاهد له ، واستيعابه بعض المواد الاخرى » .

ولا شك ان جزءا كبيرا من نجاح هذا البرنامج يرجع الى صوت فاروق شوشة الذى يخيل الى ــ انه خلق ليقول الشعر ــ والذى تظهر من خلاله الاحاسيس نقية مشبعة بالنور ، بل انه ليحول الشعر ــ حقيقة ــ الى نور مسموع !

الدخلاء على الطرب

بهذا العنوان ارسل الى الاديب عيسى متولى رسالة رقيقة جاء فيها ماقاله شاعر عربى عن هؤلاء الدخلاء ــ ولعله يشكو من واحد منهم ــ .

ومغن بارد النغمة مختل اليدين
ما رآه احد فى دار قوم مرتين !
صوته اقطع للذات من سطوة بين

كما قال ابن الرومى فى هذا المعنى
فظلت اشرب بالارطال لا طربا
عليه بل طلبا للسكر والنوم

ثم يختم رسالته بقوله « وما اكثر المطربين الذين مارآهم احد فى دار قوم مرتين » .

« عبده بدوى »



الكتب
نقد وتعريف

١٠



بقلم
تحسين عبد الحي

تاريخ بنى اسرائيل
من أسفارهم
تاليف : محمد عزة دروزة

يندهش الذى يقرأ تاريخ بنى اسرائيل القديم فى أسفار العهد القديم التى يقدسها اليهود ، من الدعوى البالغة فى الكذب والوقاحة أبعد مبلغ والتى يدعيها يهود اليوم بأمجاد اليهود التاريخية فى فلسطين . لانه يستبين من نصوص هذه الأسفار أنه ليس لبنى اسرائيل فى فلسطين أمجاد تاريخية تتحمل فخرا واعتزازا — الا اذا كان الكذب والاحتيال والفسق والفجور وسفك دماء الغير ونهب أموالهم والعدوان على حرياتهم وحرماتهم باسلوب بالغ الوحشية والشره ، والانحرافات الدينية والخلقية والاجتماعية، والشقاق والنزاع فيما بين طوائفهم — والرضوخ والخنوع للغزاة يمكن أن يعد من الامجاد وهو ماتمتلىء به هذه الاسفار اليهودية المقدسة عندهم .

يضاف الى هذا انهم حينما كانوا يحملون اسم العبرانيين وطرأوا على فلسطين كانوا شرذمة قليلة او أسرة واحدة — عاشوا عيشة البدو — وحينما عادوا الى فلسطين من مصر بقيادة موسى لم ينشئوا شيئا هاما من المدن والقرى وانما عاشوا على ماكان فيها من عمران ضخم هو فى الاساس عمران كنعانى وآمورى .

ولم تخلص فلسطين لهم فى اى وقت حيث ظل سكانها القدماء من كنعانيين وأموريين وفلسطينيين وغيرهم فيها — وحيث كانوا فى أحيان كثيرة يشتبكون معهم وينتصرون عليهم — وحيث ظلوا بعد اجلاء بنى اسرائيل المرة بعد المرة فيها كاصحاب البلاد الاصليين .

وقد خلا تاريخهم من أى مجد عمرانى وسياسى وعسكرى لامع ولم يكادوا يتركوا فى فلسطين بعد تشردهم النهائى عنها أثرا ما — ثم تشتتوا فى أنحاء الارض واندمج كثير منهم فى النصرانية والاسلام والعروبة ، واختلطت دماؤهم ودماء من بقى على اليهودية منهم بدماء الاقوام التى عاشوا بينها الى الآن بحيث يصح أن يقال — ان الدم الاسرائيلى القديم قد باد . ولم يبق له اثر — وان اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الاجناس واللغات والدماء وان دعوى صلة اليهود اليوم ببنى اسرائيل وتاريخهم على ما فى هذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف ونلمح فى كثير من نصوص الاسفار أثر تعصب شديد وأنانية قوية وأفق ضيق كان وظل يبدو منهم ويسيطر على سيرتهم سواء فى معاملتهم لغيرهم او فيما كانوا يزعمونه لانفسهم من اختصاصات وامتيازات . مثال ذلك : ان جميع الشعوب عبيد لهم سخرها الله لخدمتهم وكونهم شعب الله المقدس المختص بعنايته وتأييده بل وعبادته دون غيرهم من الشعوب ، وكونه جعلهم أصحاب الحق الابدى المطلق فى ارض كنعان التى كانت حدودها

تتطور حسب ظروفهم فتكون حينا غرب الاردن أو قسما منه وحينا تمتد الى شرقه وغربه معا وحينا تمتد من النيل الى الفرات ، وبإباحته لهم بل بشرعه لهم وأمرهم — تعالى وتقدس — بأن يبيدوا جميع سكان أرض كنعان من نساء وأطفال وشيوخ ورجال وأحيانا جميع مافيها من دواب وبهائم وبأن يحرقوا مساكنها ، ويحظر قطع أي عهد أمان لأي كان من سكان أرض كنعان أو ابقائهم بين ظهرانيهم — حتى لقد سجلوا سخطه عليهم لانهم خالفوه في بعض المرات في عملية الابادة كما سجلوا سخط موسى على مثل ذلك — كما ورد مثلا في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج والاصحاحين السابع والثامن من سفر التثنية والاصحاح الحادي والثلاثين من سفر العدد كما سجلوا أقوالا عن لسان الرب بأنه يغفر لهم ما يقترفونه من آثام واركسوا فيه من انحرافات دينية وخلقية كما جاء في الاصحاح الرابع عشر من سفر العدد .

لقد ظلت أوهام كتبهم الدينية التي وضعوها بأنفسهم تزودهم بمركب نقص ثابت وتلازمهم وتنظم سيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التي احتكوا بها أو عاشوا معها بعد تشردهم من فلسطين وتشتتهم تحت كل كوكب خلال ألفي عام . واستمروا يرتكسون في الانحرافات الخلقية والدينية ، وبقوا غرباء تجاه تلك الشعوب وتعاملوا معها في نطاقها ، وتعرضوا لاضطهاد جميع الشعوب وكراهيتهم بسببها ، وظل أثر الاضطهاد والكراهية والعقدة النفسية ، مكبوتا في صدورهم جيلا بعد جيل حتى وجد من جديد مجال رد الفعل والانفجار في فلسطين فكان منهم ماكان من وحشية القمع والفتك والتدمير والتخريب واستحلال كل شيء والشره الى كل شيء وكانوا بذلك ولن يزالوا شاذين بسبب هذه العقدة اللعينة عن جميع شعوب الارض في مختلف الازمنة والأمكنة — كل هذا يستبينه المرء لمن يقرأ تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم .

ويستطرد الكتاب بعد ذلك فيقسم الاسفار اليهودية رغم اتسامها بالسمة الدينية الى ثلاثة أقسام :

أولا : منها ما هو تاريخي في الدرجة الأولى — مثل أسفار التكوين والخروج والعدد ويشوع والقضاة وصمويل والملوك واخبار الأيام وأستير وعزرا ونحميا ودانيال وأرميا وراعوث ويهوديت وطوبيا والمكابيين والثلاثة الاخيرة من زوائد النسخة الكاثوليكية وهي تربط بين وقائع بني اسرائيل بل وآبائهم وبين سلوكهم الديني بحيث أنها تجعل ماوقع عليهم من محن وشدائد ومصائب وما تيسر لهم من نصر ونجاح واستواء حال . منوطا بهذا السلوك في حالتي الاصلاح والانحراف الديني .

ثانيا : ومنها ما هو اخلاقي وتشريعي ، وحكم ومواعظ ومراثي وانذار وتنبؤات وتسبيحات وتمجيدات وهي أسفار اللاويين والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة — وهذا من زوائد النسخة الكاثوليكية — واشعيا ومراثي أرميا وباروك وهذا من تلك الزوائد أيضا — وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا وناحوم وحبقوق وحفنيا وحجي وزكريا وملاخي — وهي مع ذلك تمثل ناحية هامة من حياة بني اسرائيل وتاريخهم الديني والسياسي والاجتماعي والاخلاقي .

ثالثا : وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببني اسرائيل وهما سفر أيوب الذي يستفاد من عبارته أنه من بني عيسو ، وسفر يونان الذي يستفاد من عبارته أنه نبي مرسل الى نينوى : وهو النبي يونس المذكور في القرآن على ماتفيده المقابلة من محتواه وقصته في القرآن . وايوب هو ايوب المذكور في القرآن ويحتوي سفره قصة مقاربة لما ألمع اليها القرآن كذلك .

وهناك سفر مغفل السمعة وهو سفر يسوع بن سيراخ ومن الاسفار ما هو طويل تزيد صفحاته على المئة ومنها ما هو قصير — أو قصير جدا .

ويستمر الكتاب بعد ذلك في شرح وتحليل هذه الاسفار متسلسلة حسب اهميتها التاريخية منذ بدء

تاريخ بني اسرائيل فى فلسطين الى يوم تشريدهم منها التشريد الأخير فى عهد الحكم الرومانى فى القرن الثانى بعد الميلاد المسيحى وذلك مع نبذة خاطفة عن تاريخهم فى البلاد العربية الى البعث الاسلامى •

وبعد : لقد وصلنا فى العدد الماضى الى حقيقة هامة •• وهى أن المسئولية الكبرى التى يجب أن نؤمن بمحتواها الانسانى قولا وعملا هى ان نخلص العالم من شرور اليهودية العالمية وأن نفوت عليها خطتها الرامية الى التحكم فى منطقتنا ـ هذا التحكم الذى يمكن أن يتيح لها فعلا استرقاق واستعباد شعوب العالم أجمع ، وذلك لان منطقة الشرق العربى تعتبر اهم منطقة استراتيجية فى العالم من حيث كونها ملتقى قارات ثلاث، هى آسيا وافريقيا وأوربا ـ هذا بالاضافة الى ما تحتوى عليه منطقتنا من ثروات ضخمة ومضائق وممرات مائية عالمية ••

ولكن ما هو السبيل الى ذلك ؟ ••

لقد انشأ اليهود المغتصبون فى فلسطين مجتمعا حربيا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى ـ وانشاوا جيشا مدربا ومجهزا تجهيزا كاملا ليستطيع أن يتولى حماية الدولة المسخ اولا وليدفع حدودها (المزعومة) ويوسع رقعتها ثانيا ، وهدفهم البعيد من وراء هذا الجيش المدرب هو تأمين التفوق الواضح فى النوع على عنصر الكم الذى يتفوق العرب فيه •

ولجا اليهود أيضا الى تطبيق نظام شديد خاص بشان فرض الخدمة الالزامية على كل يهودى ويهودية كما طبقوا نظاما على الصغار والفتيان لغرس الروح العسكرية فيهم ، واحدثوا اساليب جديدة للخدمة الاحتياطية تبقى المكلف على صلة مباشرة بتطورات الاسلحة والاطلاع عليها فى دورات خاصة يدعى لها فى كل سنة وتستمر حتى يبلغ اليهودى الخمسين من عمره ـ ووضع الاستعماريون اليهود خطة التعبئة بحيث تستغرق من يوم الى ثلاثة أيام •• ومع ذلك يقول الصحفيان الفرنسيان ميرى وسيرج برومبرجر فى كتاب « أسرار الحملة على مصر » نقلا عن لسان ناطق اسرائيلى : « ان أمن « اسرائيل » وهم مجنون• ولكن حكومتنا لاتستطيع أن تسمح للشعب بادراك هذه الحقيقة • فالجميع عند ذلك يصابون بالجنون • لأنه لايوجد بيت « اسرائيلى » ليس فى متناول قذائف مدفع من المدافع العربية • فنحن فى حالة حرب دائمة ـ نحرث ونعمل ونبنى والسلاح معلق فى اكتافنا » •

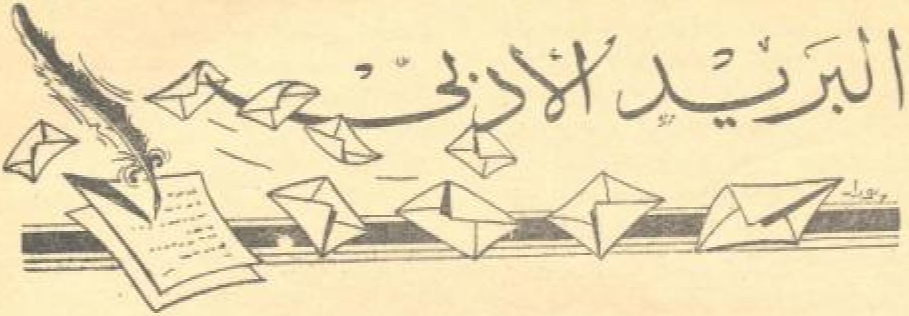
هذا هو وضع المجتمع الغاصب الغريب المؤلف من مزيج عجيب من الجماعات القادمة من كل مكان ـ من بلاد اوربا الشرقية والوسطى والغربية ومن امريكا الشمالية والجنوبية ، ومن اقطار الشرق الأقصى ومن بلاد العرب ـ وافريقيا • هذه الجماعات التى تحمل ثقافات ومفاهيم وتقاليد متباينة ـ دفعتها دعوى « دينية ـ قومية » زائفة وحقد اسود للقدوم الى فلسطين غازية ، وتريد بروح تعصبها الممقوت ماوراء فلسطين لتقيم فيها دولة « اسرائيل » العظمى •

ان السبيل الوحيد الى طرد الغزاة اليهود من فلسطين هو الحرب • والحرب ضد اسرائيل طويلة ومتشعبة فالحرب تعنى أولا محاربة الاستعماريين وطردهم من وطننا ـ والحرب تعنى كذلك انه يجب ان نشنها اولا ضد التجزئة والتخلف اللذان يسودان معظم أجزاء عالمنا العربى اليوم ـ وتعنى كذلك سحق كل محاولة لتمييع قضايانا القومية بدعوى الحرية الزائفة والديمقراطية الجوفاء •

ان الحرب ضد اسرائيل يجب أن يسبقها تشكيل مجتمع الحرب نفسه ـ على مستوى الوطن العربى ـ بمعنى انه يجب أن تتحول كل امكانياتنا المادية والبشرية التى يجب أن تنمى دائما وتستثمر على احسن وجه فى اتجاه المجتمع الذى نريد •

ان بناء السد العالى فى الجمهورية العربية المتحدة وكذلك كل حجر فى مصنع جديد وكل آلة يبدأ فى تشغيلها ـ تعنى بالنسبة لنا تقدما علميا وتكنولوجيا هو بصفته التقدمية السبيل الوحيد لبلوغ اهدافنا القومية ـ واسترداد الوطن السليب •

تحسين عبد الحى



« تذكروا .. أيار عاد »
للشاعر يس الفيل

مساؤنا اشتياق .. وصبحنا فراق
ويومنا مبعثر ، مشوه المذاق
وليلنا — على المدى — يذيبه احتراق
فما الذي بأفقنا يلوح يارفاق —

ألم نفلسف الضياع ذات ليلة حزينة ؟
وأنه — كما استقر — مرفأ السكينة ؟
وأنه قدسية تنام مستكينة ؟
بخيمة تمزقت في غفلة المدينة ؟
تضمنا الى مدى .... وتقلع السفينة ؟

حدودنا هناك .. عند ملتقى الأفق
خضراء يارفاق .. قبل أن تلوح تحترق
بأفقها يضرج الأنين وضبة الشفق
بليلها صوت الحنين السماء ينطلق
بليلها مات النهار ، كفنوه بالخرق

تذكروا .. « أيار » عاد .. عاد يارفاق
تنام في عيونه حكاية الشقاق
وفوق ظهره تلوح قصة النفاق
ليحترق اذا « أيار » تحت مشعل التلاق
كي لا يعود — أخوتي — مشوه المذاق

من أوهام المستشرقين
بقلم حسام الدين الوراق

قال الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية) : وعدم العصمة فيمن ادعيتم عصمته معلوم بمشاهدة ما يناقض الشرع من وجوه : أولها جمع الأموال وأخذ الضرائب والمواصير واستئداء الخراجات الباطلة .

وجاء في الطبعة الناقصة التي نشرها (جولد تسيهر) في ليدن أن (نيلدكه) يفهم هذه الكلمة (المواصر) بمعنى استخلاص آخر منافي حلمة الشرع ، من الفعل (مصر) !!

والصواب الذي يعينه السياق والسباق ويدركه الباحث العربي هو ما جاء في تاج العروس للزبيدي :

(الماصر) في كلامهم : الحبل يلقى في الماء ليمنع السفن عن السير حتى يؤدي صاحبها ما عليه من حق السلطان .

وما فهمه هذا المستشرق وأثبته زميله في طبعته ورد في (ص ١١١) في طبعة وزارة الثقافة بالقاهرة .

في جامعات القاهرة
للأديب العراقي عبد الخالق عبد الرحمن

. الدراسة في جامعات القاهرة تختلف عن غيرها من بلدان العالم ، ولقد شاهدنا الكثير من الطلاب والطالبات العراقيين الذين تخرجوا من جامعات القاهرة قد بزوا أترابهم في مختلف العلوم والفنون . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مايلقاه الطالب من رعاية فذة ، وتوجيه صائب ، وسبيل سليم .

انتابتني هذه الهواجس ، وألمت بي هذه الخواطر

بعد ان استمعت الى برنامج من تلفزيون بغداد القت فيه الشاعرة الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي مقتطفات من شعرها ولقد لقيت في هذا الشعر الركة في التعبير والضحالة في التفكير ، والتقليد الاعمى الذي لايستسيغه ذوق ولا يقره علم . ورحت اقارن بين شعر الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي التي تلقت علومها في باريس وبين الشاعرة العراقية اميرة نور الدين التي تلقت تعليمها في جامعات القاهرة ، واترك للقارىء الحكم على الشاعرة الخزرجي بنماذج من شعرها الذي القته من على شاشة التلفزيون حيث قالت :

هي عندي دنيا من الحسن طابت
وزكت نبتته وفرعا واصلا

اخذته من قول البهاء زهير كما هو مثبت في ديوانه المطبوع بالقاهرة :

من معشر خير البرية منهم
كرمت فروع منهم واصول

واسترعى انتباهي قولها (اخوض عباب الجو) والعباب بمعنى ارتفاع السيل ويقال عباب البحر اى موجه .

علاوة على التناقض في اقوالها عن بغداد فهي تقول :

ايه بغداد ياعروس الليالي
فقت بالعز بدرها اذ تجلى

والذي نور الجبين فكانت
طلعة كالصباح يمنا ونبلا

وثم تقول في بغداد :

ومضيت اضرب في البلاد لعلني
احظى باقباس تزيح دجاك

فهنك النور والبدر المتجلي ، وهنا بغداد يحيطها الدجى والظلام فأي تناقض هذا ، وتقول :

وهذا يرى في القلب خير من النوى
وهذا يرى في البعد خير من القرب

وهذا معنى ضحل تافه يذكرني بالمرحوم الناقد مارون عبود الذي نقد قصيدة الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري في جريدة الاحد اللبنانية والبيت هو :

قلنا لهم ان البياض لشحمة
والليل ليل والنهار نهار

اكتفي بهذا القدر الآن ولي عودة في موضوع جديد اتكلم فيه عن الشاعرة اميرة نور الدين وسوف استشهد بما نظمت خلال الخمسة عشر عاما الماضية من شعر رائع المعنى ، مسبوك اللفظ ، واسع الخيال .

ردود قصيرة

فاروق غبريال .. يعلق على مقال « ادباء غير محظوظين » ويلقى التبعة على النقاد الذين ينصرفون عن اعمال الشباب ، ويدعو الى مزيد من النقد في حياتنا الادبية .

خميس سلمونه .. يستدرك على فقرة « وزن الشعر وكوبرى بنها » بباب حول الادب في اسبوع ، ويذكر ان صحة الموال الذي استشهد به هي :

دخلت جو الدره طرف القره عيني
ابكى على الحب والا ابكى على عيني
ابكى على الحب لكن ... ياعيني

الأدب الشعبي ، أن يكون الذى بطرف العين هو الاسلوب الشعبى ، أن يكون الذى بطرف العين هو « منديل الحب » لا « الدره » ، وبخاصة اذا عرفنا أن « المنديل » في « الموال » اقرب الى الحديث في حياتنا عن « الدره » ، وان ما استشهد به هو الاصل ، ثم نقل بعد ذلك الى حالة من الحالات الاجتماعية ، وانا لا اكتبك بالخي .. انى سمعت في قريتي الموال خاصا بكوبرى بنها ، ولم اسمعه ولو مرة واحدة خاصا بما ذكرت ، ولعل الدكتور محمد مندور الذي تعرض لهذا الموال من قبل « بفتينا » في هذه « القضية »

عبد المحسن سلامة .. بحثنا عن القصة التي تحدثت عنها فلم تجدها ، والرسالة ترحب بك قارئا وكاتبا .

الحبيب شيبوب .. يحيى الشاعر ابراهيم نجا ويطلب منه أن يهديه ديوانه — بعد ان عجز عن الحصول عليه — على عنوانه (نهج الشبكة ١٩ زنقة الزيتون بتونس)

إعلان رقم ٤٠٢

تعلن محافظة الاسكندرية (الديوان العـــام) عن امتحان مسابقة لشغل وظيفة مدرس صناعات خاصة من الدرجة الثامنة بالكادر الفنى المتوسط بمديرية الشئون الاجتماعية ويشترط فيمن يتقدم لشغلها أن يكون حاصلا على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية (تخصص سجاد وكليم) ٠

وسيجرى امتحان تحريرى وشخصى لاختيار أفضل المرشحين يحدد ميعادهما فيما بعد ويخطر بهما المتقدمون لشغل هـذه الوظائف بخطابات موصى عليها ٠

فعلى من يرغب التقدم لهذه الوظيفة وتتوافر فيه الشروط المطلوبة ويكون مستوفيا لاحكام القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ الخاص بنظام موظفى الدولة والقوانين المعدلة له واللائحة التنفيذية الخاصة به أن يتقدم شخصيا بطلب الاستخدام على الاستمارة ١٦٧ ع ٠ ح برسم السيد محافظ الاسكندرية (المراقبة العامة لشئون الموظفين والعمال فى ميعاد غايته قبل ظهور يوم الأحد الموافق ١٩٦٤/٥/٣١ مع تسديد مبلغ ٥٠٠ مليم رسم قبول الطلب لخزينة المحافظة ويلزم أن يكون تقديم طلب الاستخدام شخصيا مصحوبا بالمستندات الآتية

١ ـ شهادة الميلاد أو مستخرج رسمى منها ٠

٢ ـ الشهادات الدراسية مع بيان مجموع الدرجات الحاصل عليها الطالب ٠

٣ ـ صورة البطاقة الشخصية ٠

٤ ـ (٥) صورة فوتوغرافية مقاس ٤ × ٦ سم ٠

٥ ـ شهادة المعاملة (احدى الشهادات المنصوص عليها فى المادة ٦٤ من القانون رقم ٥٠٥ لسنة ١٩٥٥

٦ ـ شهادة الجنسية ٠

٧ ـ شهادة حسن السير والسلوك ٠

٨ ـ صحيفة الحالة الجنائية ٠

٩ ـ بالنسبة للمجندين ولمن أدوا الخدمة الالزامية يشترط تقديم تقرير سرى مرضى أو شهادة اخلاق بدرجة جيد جدا على الأقل وذلك للتمتع بالاولوية المنصوص عليها فى قانون التجنيد ٠

١٠ ـ بطاقة تحقيق الشخصية للدخول فى امتحان المسابقة ويمكن الحصول عليها مجانا من ادارة المستخدمين والمعاشات بديوان عام المحاسبة ٠

هذا وستطبق المادة (٨٣) من القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ الخاص بنظام الادارة المحلية التى تنص على تفضيل أبناء مدينة الاسكندرية ٠

وتقدم طلبات الموظفين شخصيا أيضا بشرط الحصول على موافقة المصالح التابعين لها ٠

ولن يلتفت الى طلبات الاستخدام التى قدمت قبل هذا الاعلان أو بعد الميعاد المحدد أو التى ترسل بالبريد ـ اذ ينبغى تقديم الطلب شخصيا والتوقيع على البطاقة الشخصية الخاصة بدخول الامتحان ٠

قصة العدد

الدائرة المفرغة

بقلم: صبحي الجيار

قبل أن أتزوج كانت لي نظريات ومثل خاصة في تربية الاطفال ، وعندما أنجبت ابنتي الاولى «نوال» كنت ارعاها بمزيد من العناية والصبر ، وابث فيها كل ما في رأسي من اخلاقيات ، ولو لم اكن أتمتع بها أنا شخصيا ٠ ومما جعل مهمتي سهلة الى حد ما ان زوجتي المثقفة كانت تشاركني في آرائي وتصرفاتي ٠

وكنت ابذل كثيرا من وقتي لملاعبتها ، ومحادثتها على مستويات عقلية اكبر من سنها ، فيدهشني ان عقليتها وذكاءها سرعان ما يتجاوبان مع تفكيري ٠ كما لمست فيها حنانا متدفقا بحيث يستنزف دمعاتها بكاء بطلة وهمية في تمثيلية اذاعية او مأساة سينمائية ٠ وكانت تتمتع بانوثة رقيقة تبدو في حركاتها وايماءاتها وتهافتها على لثالي عند عودتي الى البيت بترحاب عظيم حتى لتكاد تخرج من جلدها ٠

ثم رزقنا بابنتنا الثانية والاخيرة « ماجده » فقد كان تحديد النسل في مقدمة آرائي التقدمية التي كنت اعتنقها وزوجتي قبل الزواج ٠ واحدث ميلاد ماجده تخلخلا في ميزان القوى في بيتنا السعيد فقد كانت تتمتع بقسط كبير من الجمال تتضاءل بجانبه ملامح اختها الكبرى نوال ٠

ولم تكن الصفات الشكلية بالطبع لتؤثر في قلوب الوالدين ، وتميل بعاطفتهم نحو احد الابناء دون غيره من الاخوة ٠ لكن الاقارب والاصدقاء كانوا يركزون اهتمامهم على الصغرى ، التي كانت تجذبهم قسماتها الجميلة وخفة روحها ومرحها ، خاصة عندما تتسرب الى سمعها نغمات موسيقية ، فتتأود اعاطفها بحركات لا ارادية ، سرعان ما يشغلها تصفيق الحاضرين فتندمج بكل جوارحها في الرقص بجراة وثقة بينما تنزوي اختها « نوال » فلا يحس بها احد حتى انتبه انا او امها الى تحرج الموقف ، فنفتعل حركة سريعة ، وتحول اهتمام الحاضرين الى الطفلة المنطوية ، وتستدرجها في الحديث موجهين اليها الاسئلة التي نعلم انها تعرف اجاباتها ، او سبق ان ردت عليها بردود طريفة ٠ وما تكاد الاعين تتحول عن ماجده الصغيرة حتى يعز عليها انصراف المعجبين عنها فتصرخ بلا سبب ، او تكسر شيئا حتى تعيد نفسها الى منطقة الضوء مرة اخرى ٠

ولو كان الامر مقصورا على مجتمعنا العائلي الصغير لهان الامر ، ولامكننا التحكم في طباع الطفلتين الى حد كبير ٠ ولكن المجتمع الكبير الذي كنا نختلط به ، كان يدلل ماجده ويفسد المجهود الذي نبذله لترويضها ٠

ومما كان يزيدني عطفا على ابنتي الكبرى ، انها كانت مسالمة تقابل اعتداء اختها بتسامح ونبل ٠ ولا انسى يوم انتزعني بكاؤها يوما من حجرة مكتبي لافاجأ بابنتي الصغرى قد استولت على دمية نوال رغما عنها ٠

وثار غضبي لهذا الاعتداء الظالم ، وعنفت ماجده بشدة وانتزعت منها الدمية واعدتها الى صاحبتها ، التي جففت عبراتها وقامت تتمسح في ساقي حتى تشغلني عن تأنيب اختها ٠ وجاءني صوتها الحنون يهمس في تسامح :

ـ دعها يا ابي ٠٠٠ لقد تحطمت دميتها ٠٠ ولن يضيرني أن تلعب بدميتي قليلا ٠٠٠

ـ وهل هذا يليق ؟

ـ واليست هي اختي ٠٠ ؟

ولا يسعني ازاء هذا الايثار الكريم الا ان اصمت على مضض حتى لا يسيء تدخلي الى العلاقة بين الاختين التي كنا نحرص أن يسودها السلام دائما ٠

وشبت الطفلتان ، دون أن تستطيع الايام ان تؤثر في طباعهما وازداد غرور الصغرى واعتزازها بنفسها ، ونمت عقلية الكبرى بحيث كان من الصعب التمويه عليها ، واقناعها بانها لا تقل مكانة عن اختها لدى الآخرين ٠ فكثيرا ما رأيتها تجدح المرآة بتقزز ثم تنصرف عنها كئيبة مهمومة ، واذا ما لمحتني من بعيد تقبل علي وترتمي في احضاني وتسألني في لهفة ٠

ـ هل تحبني يا ابي ؟

فتجيبها ذراعاي الحانيتان ، وانا اضمها الى صدري واهمس بحماس :

ـ ياسلام يا نونا ٠٠٠ انت اغلى شيء عندي في الدنيا ٠

وتتنهد وهي جالسة على ركبتي تطالعني بنظرات الامتنان ثم تعود فتسالني :

ـ وامي ايضا ؟

ـ طبعا ياحبيبتي ··· كلنا نحبك ·

ـ وهل تحبونني قدر ما تحبون ماجده تماما ؟

كان سؤالها لا يطمع في اكثر من مساواتها باختها الصغرى واذ اؤكد لها أن مكانتهما واحده في نفوس الجميع · تعود فتسالني :

ـ ولماذا اذن يقول الناس انها احلى مني ؟

وفي صبر واناة احاول أن اشرح لها ـ بقدر عقليتها ـ ماهية جمال الروح ، وان لكل انسان نواحي معينة يمتاز فيها عن غيره · ولا اتركها الا بعد أن أعيد اليها الثقةفي نفسها وارفع من معنوياتها التي خلخلتها المرآة والناس ·

وبدأت انحاز لصفها بصورة واضحة ، حتى أعوضها عما تفتقده من اهتمام الآخرين ، ويبدو انى اسرفت في هذا بعض الشيء مما أثار الحقد تدريجيا في قلب أختها الصغرى ، فكانت تسطو على ممتلكات الكبرى ، التي تقابل اعتداءاتها المتكررة في سماحة ورضا ·

وقادتنا هذه الظروف الى دائرة مفرغة ··· انا أعطف على ابنتي الكبرى ، فتحقد أختها الصغرى ، وتنفس عن غيرتها باعتداءات أنانية ، تقابلها الكبرى بايثار ، فيزداد عطفي عليها · وهكذا نعود فندور من جديد في الدائرة المفرغة ·

ومع الزمن زادت سرعة الدائرة ... وتطورت اسلحتنا في المعركة. فكنت استخدم احيانا عقوبات بدنية لردع ابنتي الصغرى والحد من طغيانها . وكانت هي تقابل تعسفي هذا بمزيد من المكر والضغينة حتى حدث ذات يوم ما جعلني أفيق من غفوتي ··· وأنتبه الى تصرفاتي الخاطئة ·· وبالتالي اعدل عن سياسة التحدي التي كنت اتبعها مع ابنتي الصغرى ·

كنا نستعد للاحتفال بعيد الميلاد الخامس لابنتي الطيبة نوال . وبذلت جهدي لاجعل منها نجمة الحفل بحق حتى أعيد الى نفسها بعض الثقة ·· وصممت الا ادع أختها الصغرى تطغى عليها هذه المرة ··· فاشتريت لنوال فستانا جديدا وتعمدت ان تظهر الصغرى برداء قديم ··· وبررت موقفي امامها بان المناسبة تخص أختها نوال ، مع انى لم أعتد التمييز بينهما في مثل هذه المناسبات · فسكتت على مضض · أو لعلها خشيت ثورتي ·

وبينما كنت متعلقة بأعلى السلم الخشبي في الصالة اعلق الزينات المزركشة في انحائها ، وكانت زوجتي تقف باسفل السلم تنفخ البالونات الملونة·· اذ تسللت الى اسماعنا اصوات محتجة بين ابنتينا في الحجرة المجاورة ··· التقطت من بينها كلمة « الفستان الجديد » فارهفت سمعي الحديث ·· لكنه كان خافتا بدرجة لم استطع معها أن أتبين موضوع الحوار ··· فجذبني القلق من فوق السلم الخشبي ·· واسرعت أقتحم الحجرة · فرايت ماجده تقف امام المرآة وقد ارتدت ثوب أختها الجديد · وراحت تختال به في حركات راقصة ··· وكانت نوال تحاول أن تمسك بها ، ولكن الشيطانة الصغيرة كانت تفلت منها في مرح وابتهاج ···

طار صوابي ولم استطع ان اسيطر على اعصابي امام هذا العدوان الجائر ··· فاقتحمت الحجرة ثائرا · وكانت يدى اسرع من لساني في التعبير عن استنكاري الشديد ، فصفعت ماجده صفعة قاسية ، ورحت اعنفها في غضب جامح وأنا اهز عودها الغض فينتفض كيانها مذعورا بين يدى ·

وتنبهت من ثورتي عندما تعلقت ابنتي الكبرى بساقي ، وراحت تهزني وهي تصرخ في عصبية بكلمات باكية فهمت منها انها هي التي سمحت لاختها بان تلبس رداءها الجديد · وان الصغرى ماجده مظلومة ··

فسقطت ذراعي الى جانبي في اعياء وذهول ··· والتفت الى نوال استوضحها الامر · فأكدت لى بانها أشفقت على أختها وسمحت لها بارتداء ثوبها الجديد ·· بل والحت في هذا أمام تردد ماجده خشية من ثارى لاختها اذا ما اعتدت على شيء من حاجياتها ·

انحنيت على ابنتي الحنون اقبلها في حب واكبار ·· ثم امتدت ذراعي فأحاطت بالثانية تهدهد انفعالها ··· بينما اقبلت زوجتي فركعت بينهما حتى تحاذي اكتافهما ··· وضمتهما الى صدرها في غبطة عارمة ·· ثم التقت عيناها بنظراتي القلقة ، وفهمت ما يدور براسي فتمتمت باسمة ·

ـ أظن ان الوقت مازال متسعا ··· والسوق ملىء بالثياب الجاهزة · وفي المساء ··· كانت الاختان تمرحان في ثوبيهما الجديدين ومن وقت لآخر كانت نوال توقف أختها الصغرى لتصلح من هندامها في بهجة وحب وايثار ·

صبحي الجبار

الدار القومية للطباعة والنشر